

البيان

الاسلام المصلي

2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100

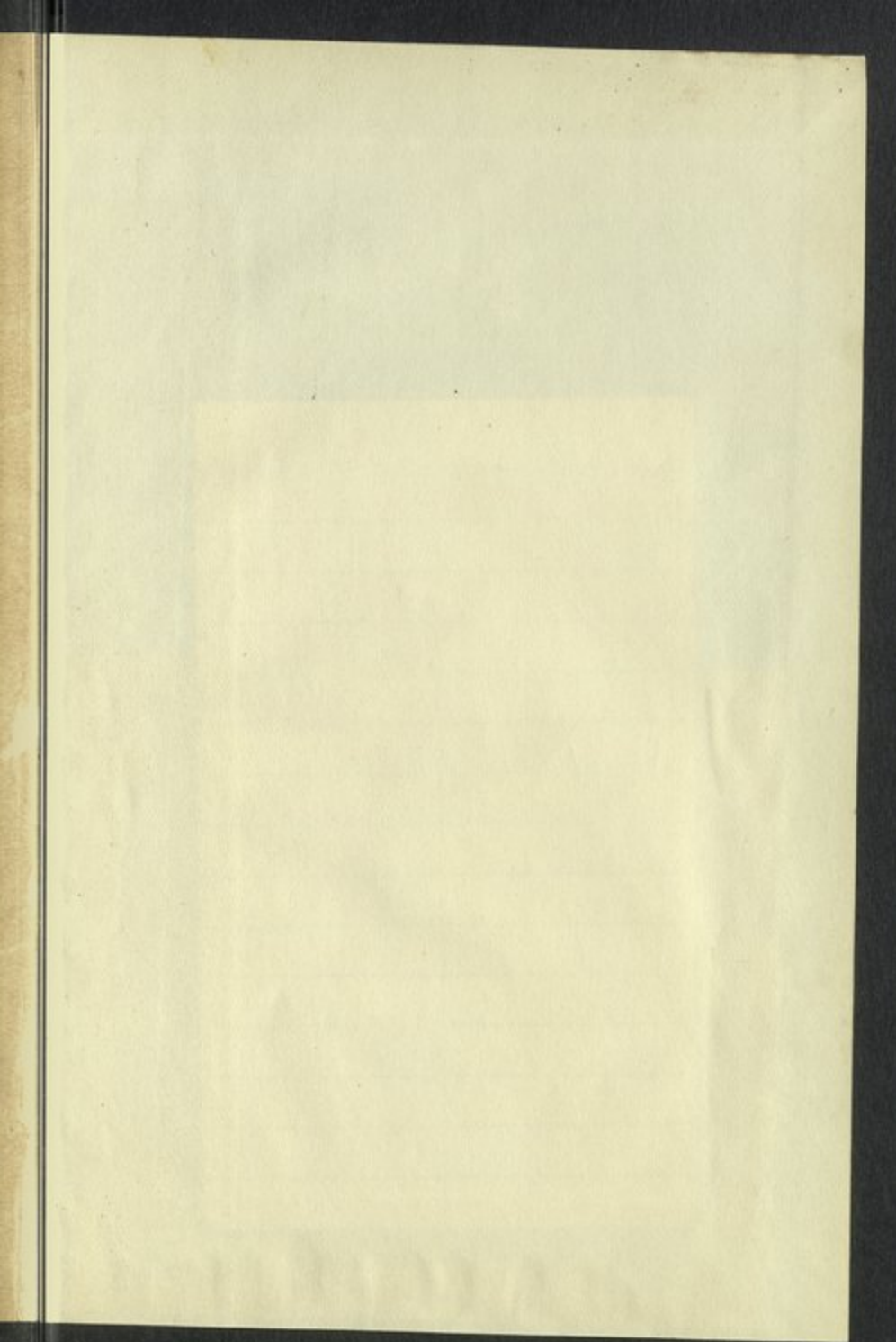
تجلد کتب  
من اندقر

297.04:Sa181A

السَّمان، محمد عبد الله •

الاسلام المصنّف •

297.04  
Sa181A



297.04

Sa 18iA

Ci

محمد عبده السنيان



# الإسلام المصنفي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر: مكتبة وهبة

عاشق ابيهم باشا باري



الطبعة الأولى { جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ  
مارس ١٩٥٤ م

---

دائر الشئنا للطباعة

ابراهيم محمد عيسى

شارع الجيوش ت : ٥٠٦٦٤

إهداء

إلى كل مسلم شرح الله صدره للإسلام  
فهدو على نور من ربهم .....

ألا لله الدين الخالص ...



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

إنها ليست شهوة التأليف هي التي دفعتني إلى إبراز هذا المؤلف إلى حين الوجود ولا إلى إبراز غيره مما سبقه إلى الحياة .

ويعلم الله وحده ، أني ما ألفت كتاباً ولا أصدرت رسالة ، إلا بعد أن تكونت أفكار كليهما عقيدة رسخت في أعماق نفسي ، وامتزجت بخواطري ، وتحولت تدريجياً إلى ثورة نفسية عنيفة ، لم يكن ثمة خلاص منها إلا بإبداع هذه الأفكار بين دفتي مؤلف يروّح عن أعصابي ، ويستشوق في الدنيا نسام الحياة .

لقد تعودت أن أكتب في مجال السياسة الإسلامية ، وأنا موقن بأن فساد السياسة في الشعوب المسلبة هو سر نكبتها ، ولو صلحت هذه السياسة لارتفعت قيم الشعوب المسلبة فوق هذا الحضيض الذي تستعذب به وتطمئن إليه .

وكنت موقناً أيضاً بأن سر فساد السياسة الإسلامية ، هو أن الإسلام الصحيح بمعزل عن المسلمين ، ولم يكن الإسلام الذي بينهم يحيون له ، ويعيش لهم ، إلا إسلاماً مزيفاً لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة . . . . .

ولم تكن طبعته المتداولة بين أيديهم ، إلا طبعة زائفة . صاعها

الجنود ، الذى هو كل مؤهلات المحتكرين الإسلام باسم الإسلام .  
والمدعين الهيمنة عليه ، بكل ما يستطيعون من حق وتبجح .  
إن اسلام المسلمين اليوم ، هو هذه الصلاة التى لا روح فيها ، وهذا  
الحج الذى يبتغيه المسلمين البلباء رخصة بحمل الألقاب . !  
وإسلام المسلمين اليوم ، هو هذه المعارك الهزيلة ، من أجل التوسل  
بالصالحين وكرامات الأولياء ، وشفاعة المرسلين ، وليلى القدر والنصف  
من شعبان ، وإرخاء اللحية والعذبة والصلاة فى النعال ! .  
وإسلام المسلمين اليوم هو هذه الطرق الصوفية البلباء التى تهدم فى  
كيان الإسلام بفتوس من الفولاذ ، وهذه التواشيع الدينية ، التى تقلق  
الاستماع بها إذاعات البلاد الإسلامية الغراء .  
هذا هو الإسلام الذى يفهمه المسلمون ، والذى يحاول المتصدون له  
أن يفرضوه فرضاً على عقول المسلمين .  
أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالدين ، حتى يكون ديناً قيبا .  
أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالمسلمين حتى يكونوا خير أمة  
أخرجت للناس .  
أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالإنسان حتى يليق بالآدمية التى  
أودعها الله فيه .  
أما الإسلام الذى يجب أن يكون فى خدمة الشعب الأعزل المبعى  
عليه — لافى خدمة الحكومات التى تريده قطيعاً من الغنم .  
هذا الاسلام ... ما أبغده عن المسلمين ، وما أبعد المسلمين عنه ...  
هذا الإسلام أصبح ... أصبح أشبه بالمصادر ، لا يقوى المسلمون  
فى معظم البلاد الإسلامية على نشره والدعاية له .

لأن نشر الإسلام الصحيح بمعانيه الحية ، يهدد الاستعمار الغاشم ،  
وأذنا به الدخلاء . كما يهدد الحكومات الاستبدادية التي لم تزل تحكم حكماً  
طاغياً جائراً .

ونشر الإسلام الصحيح بمعانيه الحية الرفيعة . يهدد أصحاب المصالح  
من الرأسماليين وغيرهم ، كما يهدد الإباحية والانحلال والخنوثة ، ولهذا  
الأوبئة أنصارها وأشباعها . . . . أولئك الذين يذودون عن مبادئهم  
الواهية القذرة . . .

متى يدرك المسلمون هذا كله حتى يدركوا أن سر نكبتهم إنما يرجع  
إلى عدم وصول الإسلام الصحيح إلى قلوبهم ، ولو قدر له أن يصل لتغيرت  
حالمهم ، وارتفعوا من الحضيض إلى القمة . ؟

ومتى يدرك المتصدون للإسلام هذا كله ، حتى يتقوا الله في هذا  
الدين ، ويدعوا صغائر الأمور ويلتزموا معاليها ، ويصفوه بما لحقه من  
جهالة ، ليقدموا منه زاداً طيباً مصفى إلى أذهان المسلمين وعقولهم . ؟

ومتى يدرك هذا كله . . . أشباع المعارك الهزيلة ، الذين يطيب لهم  
دائماً أن يضعوا الإسلام في جو معكر من الجدل والتنازع والتخاصم ،  
ويشغلوا الدهماء بما يشوه سمعة الدين ويحط من شأنه ومنزله . ؟

ومتى يدرك هذا كله . . . أولئك المتزمتون الذين يحلو لهم دائماً أن  
يظل ركب الإسلام في المؤخرة لا يتنفس مع الحياة ، ولا يتطور مع  
تطورات الزمن ، ولا يقوى على السير في مواكب الرقي والمدنية  
والإصلاح . ؟

وبعد — فلقد تعود هذا القلم المتواضع ألا يسجل إلا ما يعتقد ، دون  
أن يخشى في الحق لومة لائم ، ولو كان هذا اللائم من تدين له الأرض  
بالطاعة ، لأنه يوقن بأن فوق كل قوى قوياً أقوى منه . كما يوقن بأن  
الإسلام كتب على كل مسلم أن ينشر معانيه الصادقة الخالصة ، وإن غضبت  
الدنيا بأسرها ...

يا أتباع الإسلام افهموا دينكم كما ينبغي أن يفهم .  
ويا دعاة الإسلام انشروا معاني الإسلام الخالصة كما ينبغي أن تنشر .  
فلا خير في المسلمين إذا لم يفهموا دينهم كما ينبغي أن يفهم ، ولا خير في  
دعاة الإسلام إذا لم ينشروا معانيه الخالصة كما ينبغي أن تنشر ، ولا قيمة  
للإسلام ... إذا لم يجد المسلمين الذين يفهمونه فهماً صحيحاً ، ولا الدعاة  
الذين ينشرون معانيه صافية خالصة . 11

محمد عبد الله السمان

القاهرة

## هذا الانهيار . . .

إن للانهيار الشانن في المسلمين ودولتهم مرجعاً واحداً ، ليس هو تنسكب المسلمين طريق الإسلام السوى ، كما يتبادر إلى ذهن كثير من المتصدين للغيرة على الإسلام ودولته وشعبه ، الذين لا يملكون إلا الثرثرة والنعيق ، والتصايح والتشديق بالألفاظ . .

هؤلاء المتصدون للغيرة على الإسلام أتقنوا حفظ أسلوب واحد ، لا يتحولون عنه ، ولا يقوون على التخلص منه ، حتى أصبحوا أشبه بالأشرطة المسجلة تماماً ، إذا كتبوا ، وإذا خطبوا ، قالوا في كل مرة : إن علة انهيار المسلمين تنسكبهم طريق الإسلام ، وأن العلاج هو الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام . .

هذا هو كل أسلوبهم : كلمات تقليدية مهمة لا يتعمون أنفسهم حتى في توضيحها ، أو إلقاء شيء من الضوء عليها ، إنها كلمات تحمل العامة السذج على تقديرها ، وفي الوقت نفسه لا تلقى من المثقفين إلا كل ازدراء وسخرية . .

والعجيب أنه مرت أجيال على المسلمين ، والانهيار آخذ في التفاقم ، حتى أصبحوا يتخبطون في الدنيا ، وهم أشبه بجماعة العميان في بلد العميان ، وهؤلاء الغيرة على الإسلام ، كل مهمتهم هو هذا الأسلوب العتيق البالي ، الذي يزيده التكرار سقماً على سقم ، وجوداً على جمود .

أما المرجع الحقيقي للانتهيار الشائن في المسلمين فهو الجفاء القائم بين الإسلام والمسلمين ، والإسلام بطبيعته لا يحمل في معانيه ذرة من الجفاء لأحد من الناس ، فضلا عن أتباعه ، والمسلمون بطبيعتهم لا يمكنهم أن يحنوا في نفوسهم ذرة من الجفاء للإسلام ، وهو دينهم الذي رضيه الله لهم وارتضوه لأنفسهم ، دون إكراه أو إرغام .

وإنما صنع هذا الجفاء المتصدون للإسلام من أشياع الغيرة عليه ، لأنهم هم الذين أساءوا وعرضه ، وشوهوا تعاليمه ، وصيروه ديناً جامداً لا يقبل المرونة ، متزمتاً ، لا يرضى عن التطور ، هزيبلاً لا يسمو إلى معالي الأمور . . .

ولأنهم هم الذين حصروا الإسلام في معارك هزيلة ، وأوهام باطلة ، ومعان تافهة ، وجعلوا منه بضاعة مزجاة لا تلتقي في أسواق العقول إلا الازدراء والبوار ، ولا تلتقي في معارض الأفكار الدولية سوى المهانة والإعراض . . .

### الإسلام الرخيص

في السيارات العامة ، والشوارع والميادين الكبرى ، وعلى المقاهي يباع نوع من الإسلام بأرخص الأثمان ، والأذان تعودت أن تسمع أصوات الباعة تنادي : ميلاد النبي وهجرته ووفاته بخمسة مليات ، وألف حديث ديني بخمسة مليات ، وقصص النبي مع الغزاة والجذع والضرب والحجر والغمامة بخمسة مليات .

إن لهذا النوع من الإسلام تجارا في مصر ، ومحال تجارتهم تكاد

تكون ملتصقة بالأزهر ( الشريف ) ، وفي ذلك ما فيه من التغير والتويه  
على عقول السذج والبسطاء ، وهؤلاء التجار آمنون في ظل نومة الأزهر  
المعمور ، يباشرون أعمالهم في سكينته وهدوء .

وبجانب هؤلاء التجار يعمل بعض محترفي التأليف في ميدان آخر ،  
وهم يحرصون على أن يقدموا للجهلة من المسلمين إسلاماً رخيصاً بملاليم  
معدودة ..

وهؤلاء وأولئك يجيدون ابتكار العناوين التي تجتذب عواطف  
السذج ، وابتكار القصص التي تليق بعقول الجهلة ، ولن يهتم بعدئذ  
أن تهان معاني الإسلام ، أو تشوه معالم التاريخ .

ونحن لا نطالب بأن تفرض الرقابة على هذه المطبوعات ، ولكن  
الأفضل أن نعمل على بوار هذه البضاعة التي تسيء إلى الإسلام إساءة  
فاصلة ، لامتعتين بالأزهر وحده ، ولكن بكل مسلم يغار على معاني دينه  
الحنيف من التشويه الممقوت . !

### المعلومات المشوهة

هناك معلومات اسلامية كثيرة ، راسخة في أذهان المسلمين ، وهذه  
المعلومات مشوهة تشويهاً يحط من قدر رسالة الإسلام ..

واسكى تصور رسالة الإسلام قدرها ، يحتم علينا أن نتظف عقول  
المسلمين من هذه المعلومات المشوهة ، وليست هي من الهوان بحيث  
يجوز التهاون في أمرها ، فهي تتصل بصميم معاني الإسلام الحية ،  
وبالأصول التي قامت عليها دعوته .

وليس هذا المجال مجال حصر لهذه المعلومات ، لأنها في حاجة الى سفر ضخم ، ولكننا نمر سريعاً على نماذج قليلة منها ، تلقى على هذه الناحية بصيصاً من الضوء .

إن العامة من المسلمين يفهمون أن رسالة محمد ماجاءت، إلا لتعلن الحرب على الدنيا ؛ وتعرضها في صورة منكرة مشوهة ، حتى يزهد فيها ويتعفف عنها المسلمون ، وتحدثهم عن عزة المسلمين التي وطئها نعال الكافرين فيجيبونك : لهم الدنيا ولنا الآخرة . . . !! والعامة من المسلمين يعتقدون أن الإسلام منحصر في صلاة وزكاة وصيام وحج ، ولا شأن له بالتدخل في شأن من شؤون الدنيا .

والعامة من المسلمين يعتقدون ، أن كل مسلم مسئول عن نفسه ، ولا شأن له بغيره ، ولا دخل له في استعمار بلاده ، وليترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله . . . ! والعامة من المسلمين يعتبرون علماء الدين مسئولين عن كل شيء يتصل بالإسلام ، فالعمل على إعلاء كلمة الله ، وعلى إزالة المنكرات ، ومكافحة الظلم ، والدفاع عن الحق ، كل أولئك من شأن علماء الدين وحدهم ، والمسئولية لا تقع الا على عاتقهم . . . ! والعامة من المسلمين ، يعتقدون أن ما لحق المسلمين من ضعف ؛ ودولتهم من ذلة ، وكنبتهم من مهانة ، وكرامتهم من حطة ، إنما هو قضاء الله الذي يجب أن نسلم به ونرضخ له . . . !

وهناك الكثير والكثير ؛ وليس المهم أن نشخص الداء فحسب ، ولكن الأهم أن نجد وصف الدواء . . . !

o o o



هَذِهِ الْمَعُوقَاتُ

## هذه المعوقات

إن هناك كثيرا من المعوقات لهضة الإسلام في هذه الحياة ، وهي حقيقة لا مرية فيها ، وهذه المعوقات ، لم يقدر لها أن تواجه الإسلام في فترة الأولى . لأن عقول المسلمين يومئذ كانت كفيلة بتحطيمها ، ولأن تفكيرهم كان يومئذ خصبا لم يصبه الجذب ، بحيث لا يمكن لهذه المعوقات أن تعيش بجانبه لحظات .

ولكن هذه المعوقات تعيش اليوم بخير ، دون أن يصيبها شيء . من التقهقر أو الملل ، ولها في كل ميدان أنصار يذودون عنها ، وفي كل مجال أشياخ يروجون لها ، وفي كل مناسبة دعاة يتعصبون لبضاعتها ، والسر في وجود هذه المعوقات اليوم على قيد الحياة ، إنما هو الركود الذي خيم على عقلية كثير من المسلمين خلال يدهم وبين النهوض الفكري ، وإنما هو أيضا السفه الذي أصاب أفهام المتعصبين باسم الغيرة على الإسلام . . .

وشر هذه المعوقات هو الاحتكار . . . احتكار رجال الدين للإسلام ، والجمود الفكري المصطنع ، والغلو المقيت ، والتزمت البغيض ، وهذه الألوان تسيطر سيطرة تامة على عقلية الكثيرين من المسلمين ، وتقف سدا منيعا دون نهوض الإسلام والمسلمين، نهضة فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية .

ويأويل من يحاول من ذوى الأفكار الحرة تحطيم هذه المعوقات أو التنديد بها — فإن الزندقة والمروق والإلحاد ، اتهامات قليلة عليه في نظر جهات التعصب اللاحق البذى .

والعجيب المؤلم ، أن هؤلاء الحقى يعتقدون اعتقادا راسخا ، أنهم على هدى ، وأن الغيرة على دينهم ، هى التى تدفعهم إلى هذا التعصب المقيت ، ولو قدر لهم أن ترفع الغشاوة عن أعينهم وقلوبهم ، لأدركوا أنهم إنما يسبثون إلى الإسلام بغيرتهم المزعومة ، ويكدسون العراقيل فى طريق نهضته . ويشوهون قدره كدبن إنسانى خالد .

وأعجب وآلم من هذا ، أن هؤلاء لا يملكون حجة ، ولا يرتضون منطقا ، ولا يجهدون إلا السب والقذف والشتم .

### الجود الفكرى

إن الإسلام دين لم يخاطب القلوب إلا بعد أن استقرت العقيدة فيها ، وأصبحت هذه القلوب ملكا له ، ولكنه بدأ بمخاطبة العقول لأنها منبع التفكير ، وهى أقدر على تكييف معانى الإسلام من القلوب التى هى مقر الإحساسات والعواطف فحسب ، وليس لهذه الإحساسات والعواطف قيمة ، إلا إذا كانت العقيدة هى التى تصوغها وتصرفها وفق إرادة الخير والفلاح . فالعقل هو الذى يملك وحده أن يضىء القلب لينشرح للهداية ، وهو الذى يملك أن يحجب عنه الضوء ليصدده عن الهداية ويتخلف عنها ، لأن العقول تكييف الأشياء بقدر حكمتها ، وتكييف العقيدة بقدر منطقتها ، ولا تقر شيئا يفرض عليها ، ولا تقبل عقيدة على رغم منها ، إلا إذا كان أصحابها قطعانا من الماشية ، أو آلات مسخرة لا إرادة ولا مشيئة لها . وهذه العقول أشبه بالماء — فإذا ظل جاريا فى مجراه كان له قدره وشأنه ، وإذا ركد مكانه فقد حيويته ، وصار مبعثا للعفونة ، وموطنا للجراثيم ، وكذلك العقول إذا ركدت وحرمت النشاط الفكرى ، فقدت قيمتها ووقارها ، وأصبحت ككل أعضاء الجسم ، تؤدى وظيفتها بجرمة آلية وكفى !

ورسالة الإسلام رسالة خالدة ، واعتبارها خالدة يحتم عليها أن تكون  
مرة متطورة ، ولا ثمرة لمروتها وتطورها ، إلا كانت عقول أتباعها عقولا  
مرة لا تزمت ولا جمود فيها .

ورسالة الإسلام — والحمد لله — رسالة مرة لأنها قد كتبت لها الخلود .  
والذين قدر لهم أن يدرسوا التشريع الإسلامى ، أو على الأقل أن ينال  
التشريع الإسلامى قسطا من عنايتهم وتفكيرهم ، يوقنون تماما بأن رسالة  
الإسلام بلغت أرفع درجات المرونة .

إن فى إلغاء بعض أحكام التشريع وتغيير بعضها ،<sup>١</sup> لدليلا قاطعا  
على مرونة هذا التشريع ، ويعرف الفقهاء هذا الإجراء بالنسخ ، ولهم  
فيه بحوث مستفيضة لاداعى لها هنا ، وحسبنا كتاب الله تعالى :

« ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله  
على كل شىء قدير . ١٠٦ — البقرة .

وإن فى نزول النص التشريعى ذى الهدف الواحد على دفعات ،  
ليوائم إمكانيات البشر ، لحجة كبرى على مرونة هذا التشريع — ولسنا  
فى حاجة إلى دليل فى هذا المعنى ، لأننا نعلم أن المنع وضحت حقيقتها فى  
أول آية نزلت ، وفى الآية الثانية حرمت فى أوقات معينة هى أوقات  
الصلاة ، وفى الآية الثالثة قطع بتحريمها نهائيا . بعد أن أصبحت  
إمكانيات المسلمين مستعدة لتنفيذ هذا التحريم .

إن الرق وضع لآتقده مبادئ الإسلام ، أو على الأقل لا ترضى  
عنه ، لأن الإسلام من أهم أهدافه تحسّرير النفوس ، ولكن التشريع  
الإسلامى فى أول أطواره لم يشأ أن يحرم هذا الوضع للقضاء عليه ، حتى  
لا يصطدم مع العقلية الرجعية ، وحتى لا يحدث اختلالا فى التوازن

الاجتماعى والاقتصادى . وإنما ترك مهمة القضاء عليه للتطور الفكرى  
بمرور الزمن .

ولم ينزل تشريع على وجه التقريب فى المرحلة الأولى للإسلام بمكة ،  
والتي بلغت بضع عشرة سنة ، لأن هذه الفترة خصصت لغرس العقيدة  
الإسلامية ، ولأن إمكانيات المسلمين لم تكن مستعدة خلالها لقبول أى  
لون من ألوان التشريع .

هذه أمثلة حية ناطقة بمرونة التشريع فى الرسالة الإسلامية ، لا تدع  
مجالاً لمتعنت أو مجادل ؛ وهذه المرونة سر خلود الرسالة إلى أن يرث الله  
الأرض ومن عليها ، إذا ما وجدت الأفكار المرة التي تتولى بحزم نشرها  
فى الأرض ، والأسلوب المنطقى الذى يشرف على بذرها فى العقول .

كان لأصحاب رسول الله (ص) عقول تفكر وتجتهد والرسول بين  
أظهريهم ، وما اعتبر الإسلام الشورى من أسس الدعوة الإسلامية ، إلا  
تقديرًا للعقول والأفكار .

والرسول - رغم إشراف الوحي على توجيهه - كان كثيراً ما يجتهد  
هو رأيه ، وفى القرآن كثير من الأدلة الناطقة التي لا تقبل تأويلاً .  
فقد اجتهد رأيه وأذن للبعض بالتخلف عن غزوة تبوك ، وعتوب  
فى ذلك :

« عفا الله عنك لم أذنت لهم . حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم  
السكاذبين » - ٤٣ - التوبة .

واجتهد رأيه وأطلق سراح أسرى بدر من المشركين بعد أن أخذ منهم  
الفدية ، وعتوب فى ذلك :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون

عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، ٦٧ - الأنافال .  
واجتهد رأيه وصلى على شيخ المنافقين عبد الله بن أبيّ بعد موته ،  
وعوتب في ذلك :

« ولا تصل على أحد مات منهم أبدا ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا  
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . » ٨٤ - التوبة .  
ويجئ بعض الجهلة إلى سلب الاجتهاد والتفكير من الرسول ، في  
تفسير قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » ، ويصر  
على أن الرسول كان « بوقا » يبلغ الناس ما يوحى إليه خُشب ، ولا ينطق  
إلا بما يوحى إليه ، ولو فقه هؤلاء الجهلة ، لأدركوا أن المقصود ؛ هو  
أن ما يوحى إلى الرسول لتبليغه للناس ، إنما هو وحي حقيقي ، ولم  
يبتكره خياله عن هوى في نفسه .

° ° °

ولقد كان التقليد جنائية أصابت الرسالة الإسلامية في صميمها ، ونعني  
بالتقليد ، تقليد المذاهب الأربعة ، التي أصبحت في نظر العامة جزءاً  
من عقيدتها ، وأنها شرط في صحة الإسلام .  
والعجيب أن رسالة الإسلام جاءت لتوجد أمة واحدة - أما هذه  
المذاهب الأربعة فقد برزت إلى الوجود لتقسيم المسلمين ، بين مذاهب  
أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .  
وأعجب من هذا : أن اجتهادات أصحاب هذه المذاهب الأربعة دليل على  
مرونة الإسلام ، وتوضيح لسبيل هذه المرونة ومساكنها ، ولكن  
المتعصبين لهذه المذاهب ، يصرون على أن تكون دليلاً على جمود الإسلام  
وركود تشريعه .

فلم يجتهد أصحاب المذاهب الأربعة ليفرضوا على المسلمين تقليدهم ،  
وإنما اجتهدوا ، ليفتحوا للعقول أبواب الاجتهاد الفكري ، وليبرهنوا  
على يسر الاسلام ومرونته وسماحة تشريعه .

ففي منتصف القرن الثاني الهجري ، رفض الامام مالك أن يستجيب  
لرغبة الخليفة المنصور ، في إرسال نسخ من كتابه ، الموطأ ، على الأمصار  
ليكون مصدراً ومرجعاً لها في العبادات والمعاملات ، وكانت حجة الامام  
مالك ، أن أصحاب رسول الله تفرقوا في هذه الأمصار ، ولهم  
آراؤهم وأفكارهم .

○ ○ ○

قال أحمد بن حنبل لأبي داود : لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا  
الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا ،

وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول  
مقاتلتنا حتى يعلم من أين قلنا ، - أعلام الموقعين ثان .

وقال الامام مالك : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في  
رأبي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وكل ما لم يوافقهما  
فأتركوه . ، تفسير المنار ثان .

## التزمت المصطنع

من المعوقات التي اعترضت نهضة الإسلام ، هذا التزمت المصطنع ،  
وتصفه بالمصطنع ، لأن الذي أصفه بالإسلام العقول الآسنة . والأفكار  
الراكدة ، والجهل المطبق .

ولأن الإسلام بطبيعته ، دين حنيف يسر ، لا تعقيد ولا تزمت  
فيه ، وهذا هو روح التشريع ناطق بين أيدينا :

« يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ١٨٥ — سورة البقرة

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ٢٨٦ — سورة البقرة

« وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ٧٨ — الحج

« وينسرك لليسرى ، ٨ — سورة الأعلى

وهذا هو رسول التشريع يروى عنه في البخاري ، أنه ما خير بين

أمرين إلا اختار أيسرهما ، وهو الذي يقول :

« بعثت بالحنيفية السمحة ، رواه أحمد

« يسروا ولا تعسروا ، متفق عليه

« خير دينكم اليسر ، رواه أحمد

« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، رواه مسلم

« رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، رواه الطبراني

« إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، رواه ابن حبان

لم يعرف الإسلام التزمت ولا التعنت ، ولا يمد إليه إنسان يده



إلا يلقاه مرحباً به ، ميسراً له طريق الوصول إليه ، ويسر الإسلام هو سر فلسفة تشريعه وقوته .

ورد في مسند الإمام أحمد : أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله (ص) فاشتروا عليه لإسلامهم ، أن لا يجاهدوا ولا يزكوا ، ولا يصلوا ، ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فأقرهم الرسول (ص) على شروطهم .

وقد ورد في سنن أبي داود وابن جبران وغيرهما : أن امرأة صفوان ابن المعطل ، شكت زوجها إلى رسول الله (ص) من أنه لا يصلح حتى تطلع الشمس ، فأجاب زوجها قائلاً : «إنا أهل بيت عرف لنا ذلك ، فلا نستيقظ حتى تطلع الشمس ،» .

فسكت الرسول (ص) دون أن يشكر عليه جوابه .

وفي مسند الإمام أحمد : أن رجلاً أتى النبي (ص) فأسلم على أنه لا يصلح إلا صلاتين فقبل ذلك منه .

هذه بعض صور تنطق بمرونة الإسلام ، وعدم تعنته ، فالرسول يقر وفد ثقيف على إسلام لا صلاة ولا زكاة ولا جهاد فيه ، ويقر أحد المسلمين على صلاتين من الخمس المفروضات ، ويلين مع صفوان بن المعطل الذي يؤخر صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، ولم يكن ذلك منه (ص) إلا ترغيباً في الإسلام ، وتيسيراً للراغبين فيه ، والتدرج بهم حتى يمتزجوا بالإسلام ، فيصنوا إلى الكمال الذي يطالبهم به .

والإسلام يقف بتشريعه عند مصلحة البشر ، وحيثما كانت المصلحة فتم ترعرع الله كما يقول الأصوليون .

وتقدير التشريع الإسلامي للمصلحة ، دليل على عظمته ، وعلى

جدارته بالخلود ، والتطور مع سنن التطور في الحياة .  
في سنن أبي داود : أن النبي نهى أن تقطع الأيدي في الغزو ، لأن  
المصلحة تقتضي الحيولة بين الجيش والاضطراب الذي يشعله إقامة الحد ،  
وفي الصحيحين : أن النبي أجاز للسليين في إحدى الغزوات نكاح المتعة ،  
حتى لا يضطروا إلى التخصي ، أو إلى ماهو أكبر منه .  
وفي صحيح البخاري : أن النبي عليه السلام قال :

« إن الله حرم مكة ، لا يعضد شجرها ، فقال العباس : يا رسول الله  
إلا الإذخر لصناعتنا وقبورنا ، فقال (ص) إلا الإذخر . »

وفي صحيح مسلم أن النبي قال لأصحابه : أنتم أعلم بأمر دنياكم ، تاركاً  
لعقولكم تكيف الأشياء وفق مصالحهم .

وهناك لون أحق من التزمت ، يباشره أولئك الذين يحاولون  
جاهدين ، أن يصنعوا حياة من ابتكار أفكارهم ، تعتبر - على حد زعمهم -  
صورة من الحياة في أيام الرسول ، وهؤلاء يروجون لأنفسهم بعض  
المظاهر التي لا يهتم بها الإسلام كثيراً ، ليرتكبوا من ورائها وفي ظلها  
أكبر الكبائر .

كان تنفيذ الإعدام في عهد الرسول وأصحابه بالسيف ، لأنه لم يكن  
غيره يومئذ ، ومضت هذه القرون الطويلة ، وتطور خلاها كل شيء ..  
إلا اليمن والحجاز ، اللتين لم تزالا تعيشان مع العصر الأول الإسلامي  
من حيث بيئته وعقليته وإمكانياته .

لا زالت اليمن والحجاز تنفذان حكم الإعدام بالسيف ، بطريقة  
يقشعر منها القرن العشرون ، وكان المقصود بالقصاص إشفاء الغيظ  
من القاتل لا القصاص نفسه .

إن رحمة الاسلام التي شملت الحيوان والطيور وكل دابة في الأرض ،  
حتى الذبيحة حين تذبح شملت رحمة الاسلام ، فأوصى الرسول بإراحتها  
وحد الشفرة التي تذبح بها حتى لا تموت مرتين .

هذه الرحمة الواسعة الشاملة لا تشمل الانسان في نظر دولتي الحجاز  
واليمن ، فيقتل قتلة دينته ، تفرغ منها الانسانية والكرامة الآدمية .

ويرجع هذا التعسف إلى العقلية الجامدة الآسنة ، التي تدعى التمسك  
بكل ما كان كائناً في العصر الاسلامي الأول .

وهذا ضرب من التفرير ليس إلا .

° ° °

إن العبادة في بعض الدول الاسلامية شرعية ، ولكن بجانبها حكما  
أقطاعيا ، وكبتا للشعب ، وقتلا لحرية الرأي ، أو لكل نهضة تحاول  
أن تظل برأسها .

والمذبايح يكاد يكون محرما في هذه الدول ، لأنه يذبح الأغانى التي  
هي رجس من عمل الشيطان ، وفي بيوت سادتها المتحكمين الحفلات  
العارية الماجنة ، والمساخر الفاضحة ، التي تصرع فيها الفضيلة ، ويذوب  
الحياء ... !

## الهوس الديني

إن الهوس الديني من المعوقات المزمته ، التي تعترض نهضة الاسلام في بلاد المسلمين ، وهو من أشق الأمراض الهستيرية التي استقرت في عقول كثير من الحنفي ، الذين يسيثون إلى الاسلام أكبر إساءة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

والغلو في الدين من أبرز عناصر الهوس الديني ، وزغم أن هذا الدين يسر ، يتفق وطاقة البشر ، ولا يجد فيه المسلم ما يشق عليه ، ولا ما يضره ويتعبه أو يعوق مصالحه ، إلا أن هؤلاء المتهوسين يأبون إلا أن يشددوا على أنفسهم وعلى المسلمين ، حتى يضعوا الاسلام في صورة مشوهة دخيلة عليه .

ولسنا ندرى ، كيف يتحقق قول الحق تبارك وتعالى في رسالة محمد ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . إذا كنا في عبادتنا ومعاملتنا ، نجعل من الاسلام مضيقاً ومشدداً ومعسراً ، وكيف نحقق — مع هذا الهوس — أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج ... ؟

إن الاسلام ينفر من الغلو في العبادات ، لأنه يعطى الأذهان عن الاسلام صورة من التشدد الذي لا يقره بحال من الأحوال ، ففي صحيح البخاري : أن عائشة ذكرت للرسول — صلوات الله عليه — امرأة من بني أسد لاتنام من الليل ، أي تظل تتعبذ فيه ، فقال (ص) :

« مه .. عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ... »  
وفي صحيح البخاري : أن رسول الله (ص) دخل المسجد فإذا حبل

مدود بين الساريتين ، فقال : ما هذا الجبل ؟ قالوا : جبل لزيب ، فإذا  
فترت تعلقت به ، فقال النبي : لا — حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا  
فتر فليقعده .

وفي سنن أبي داود أن النبي — صلوات الله عليه — أوصى أصحابه  
فقال : ولا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على  
أنفسهم فشدد عليهم ، فترك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية  
ابتدعوها ما كتبناها عليهم .

سأل النبي عقبه بن عامر : أن أخت عقبه نذرت أن تحج ماشية ،  
وإنها لا تطيق ذلك ، فقال النبي — صلوات الله عليه — إن الله لغني عن  
مشي أختك ، رواه أحمد .

وكما ينفر الإسلام من الغلو في العبادات — فإنه لا يرضى بأن يكون  
تشريعه عقبية في سبيل تيسير معاملاتنا ومصالحنا ، وما استلزمه تطورات  
الحياة ، ما دام في ذلك تحقيق الخير .

فلنتصور أن العمل في المصارف حرام ، لأنها تتعامل بالربا ، وأن  
لجوء السيدات إلى الأطباء حرام ، لأنهم يكشفون عن عوراتهن ، وأن  
صناعة لعب الأطفال وبيعها وشراؤها حرام ، لأنها تصاوير حرمها  
الإسلام ، وأن التدريس للرجال في مدارس البنات ومعاهدهن حرام ،  
لأن فيه اختلاطاً يحرمه الإسلام ، وأن ارتداء الملابس الإفرنجية ،  
واستعمال كل ما هو إفرنجي حرام ، لأن في ذلك تشبهاً بالكفار ،  
والرسول يقول : من تشبه بقوم فهو منهم ... ولنتصور أن الوظيفة  
في الدولة حرام ، لأن المرتبات تدخل فيها الشبهة ، لأنها من أموال الدولة ،  
التي تجمع من الضرائب على الخمر والصالات والملاهي ، وأن المرأة

التي تغادر بيتها لحظة واحدة ، تلعنها الملائكة حتى ترجع ، وأن العمل بالنسبة للمرأة حرام ، ولو صانها العمل عن الانهيار والسقوط ، وأن صوت المرأة عورة ، فيجب ألا يرتفع لها صوت ، وأن كفيها ووجهها عورة ، فيجب ألا يرى كلاهما ..

ولنتصور بعد ذلك ، ومع هذه الحماقة ، كيف تنتظم الحياة ، وتستقر شؤونها ، وتستتب أحوالها ، وهل يرضى الدين هذه الحماقات ، وهو الذي جاء ليبيء الحياة المستقرة للناس حتى ينعموا فيها ؟

إن فلسفة التشريع الاسلامي ، تؤكد لنا أن هذا التشريع لم يوضع إلا وفقق طاقة البشر ، وأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولعل من هذه الفلسفة . قول الرسول صلوات الله عليه ، فيما رواه عنه عبد الله ابن عمر ، قال :

كنا إذا بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت ، أو قال استطعتم .. رواه البخاري ومسلم .

o o o

لقيت ذات يوم أحد المهوسين الدينيين ومعى عالم أديب ، وكان صاحبنا ثائرا كعادته كلما لقيته ، فبادرنا بقوله : أيعجبكم ما فعلته الباكستان المسلمة ؟ قلنا ماذا حدث ؟ قال : إنها جندت الفتيات في جيشها ..! قلنا وأي شيء في هذا ؟ فأجاب ، أننا لا نعترض على تجنيدهن ، ولكننا نعترض على أن تظهر المجندات سافرات من غير حجاب ..!

واستأذنا صاحبنا في الانصراف دون أن نناقش ، وأخذ كلانا يضرب كفا على كف ، من أجل هذا الهوس الديني ، فكيف يستسيغ

عقل مسلم ناضر ، أن تعتلي الفتاة الطائرة والدبابة ، وكيف تقف خلف المدفع ، وهي محتجة .. ولكنه الهوس !..

وكنت أصلي ذات يوم بمسجد بأحد الأحياء الراقية بالقاهرة ، وأفزعني أن يقولوا واعظ المسجد في درسه الديني : إن الصلاة في الملابس الإفريقية مكروهة ، وسأله أحد المستمعين ، وماذا يفعل الموظف في ديوانه إذا أراد أن يؤدي فريضة الصلاة ؟ فأجاب : ليحمل في حقيبته جلبابا يلبسه حين يصلي ...

ولم يكن لأمثالي أن أناقش هذا الشيخ المتعنت ، الذي يسمى إلى الإسلام أسوأ إساءة ، ولا أن أقول له : إن الصلاة جائزة من غير كراهة ، إذا ارتدى المصلي ما يستر بين السرة والركبة ، بإجماع المذاهب ، وفي رواية لأحمد ، أنها تجوز إذا ماستر المصلي الفرج والدبر ، كما جاء في الجزء الأول من المغني ... ولكنه الهوس الديني !

وكننا ضيوفا ذات يوم لدى أحد الإخوان ، وقبل أن يحين وقت العصر بأكثر من ساعة ، دعينا إلى تناول طعام الغداء ، فأنبرى للكلام أحد المشتغلين بالوعظ الديني وقال : كم بقي على ميعاد صلاة العصر ؟ فأجيب : أكثر من ساعة ، فقال : ألا نستطيع أن نصبر ساعة عن مأدئة البطون ، حتى نجيب دعوة مأدئة الله ؟ فسئل ، وما مأدئة الله ؟ فأجاب : صلاة العصر . . .

فاضطرت إلى أن أقول للشيخ : إن الإسلام دين الذوق واليسر والنظام ، ولا يرضى لنا أن نكون نقلاء حين نستضاف ، وقد يكون وراء بعضنا أعمال مرتبط بها فنعطله ، أو لمضيفنا بعض المشاغل ،

فنوقعه في الحرج ، ثم إن لنا في توجيهات الرسول صلوات الله عليه —  
خير قدوة ، وهو القائل :

« إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة ، فابدهوا بالعشاء ،  
ولا يعجل حتى يفرغ منه . » متفق عليه

ولم أتوقع أننا سنقع في جدل متواصل ، فأمسكت عن المناقشة وأنا  
موقن ... بأنه الهوس الديني .

واستمعت ذات مرة أخرى إلى الواعظ الديني بأحد المساجد ،  
يجيب عن سؤال وجه إليه من مسلم ساذج ، يريد أن يعرف ماقرضه  
الله عليه من الصلاة والصوم .

فأجابه الشيخ ، بأن عليه أن يصلي ركعتي الصبح وقبلهما ركعتي  
الفجر ، وأن يصلي صلاة الضحى أربعاً ، وسنة الظهر القبليّة أربعاً ،  
والبعدية أربعاً ، غير صلاة الظهر أربع ركعات ، ثم العصر أربع  
ركعات ، ثم المغرب ثلاثاً ، ثم السنة للمغرب أربع ركعات ، ثم سنة  
العشاء أربع ركعات ، ثم العشاء أربع ركعات ، ثم الوتر ثلاث ركعات ..  
لأن النبي فعل هذا ..

أما الصوم ف شهر رمضان ، والأيام البيض الستة في أول شهر شوال ،  
والأيام البيض الثلاثة من كل شهر عربي ، الثالث عشر ، والرابع عشر ،  
والخامس عشر ، والخنيس والاثنين ، وأول المحرم ، ويوم النصف من  
شعبان ، والسابع والعشرين من رجب ... لأن النبي فعل هذا ..

كان الشيخ يتكلم والرجل مشدوه ، ثم انصرف والحيرة ملء نفسه ،  
ولا أعتقد أنه قد استراح لهذا الهوس الديني .



وكعادتي لم أكن أمك مناقشة الشيخ الذي يدعى أنه يمثل النبي في  
مجلسه ، فالعلماء ورثة الأنبياء .

ولكنني كنت أود أن يتعلم أمثال هذا الشيخ ، قبل أن يتصدروا  
للتدريس ، فهل يقر هذا الاسلام هذه الزحمة في العبادات التي روعي في  
تشريعها اليسر الذي يوافق طاقة البشر ؟

إن فلسفة التشريع تحتم أن يستقر أولا ما فرض الله في الأذهان ،  
دون أن يزاحمه التطوع ، لأن الفرض هو الأصل ، ولا يحاسب الله على  
غيره ، ومن تطوع فهو خير له .

إن الأعرابي الذي جاء من أهل نجد يسأل النبي عما فرضه الله عليه ،  
لم يجبه الرسول بأكثر مما فرض ، وأشار إشارة موجزة إلى التطوع ،  
وذلك ليقوم الأعرابي ، وقد استقر في ذهنه الفرض فقط ، ولم تشوش  
عليه زحمة النوافل ، قال له الرسول: إن ما فرض الله عليك ، خمس صلوات  
في اليوم والليلة ، فقال هل على غيرهن ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ،  
وصيام رمضان ، فقال هل على غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ،  
وذكر له الرسول الزكاة ، فقال هل على غيرها ، قال : لا ، إلا أن تطوع ،  
ثم أدبر الأعرابي وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ،  
فقال رسول الله (ص) : أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق .

والحديث مشهور في البخاري ومسلم وغيرهما .

إن النساء مشهورات بالهوس في العبادة ، فالمرأة المتعبدة لا تتنازل  
عن صيام الاثنين والخميس ، ولا تتنازل عن صلاة الضحى والتهجد ،  
ويحدث الكثير من المتاعب بينها وبين زوجها بسبب هذا التنطع في  
العبادة . قد تؤدي إلى الطلاق ، ومسكينة هذه المسلمة التعسة التي تنقت

دينها عن الحق ، الذين صبوا في أذنيها أن ركعتي الضحى خير من الدنيا وما فيها . وأن من صام الخيس والاثنين ، بنى الله له قصرأ في الجنة ، ولم يحاولوا أن يفهموها مرة واحدة ، أن المرأة لاتصوم — تطوعاً — إلا بإذن زوجها ، وأن طاعة زوجها فرض ، وأن أية عبادة غير الفريضة تتعارض مع مصالح البيت وأعمالها ، يجب الاستغناء عنها .

وفي موسم الحج ، يبيع الفلاح بقرته التي يعتمد عليها في حياته ، وربما رهن بيته الذي يضم أسرته ، حتى يحصل على نفقات الحج ، فيرجع وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وطهر من الذنوب كيوم ولدته أمه ، وهناك غيره يصر على أن يحج في كل عام ، وربما كان بيته في ميسس الحاجة إلى نفقات الحج ، ولكنها الشهوة العمياء التي يجلبها الهوس الديني .

وفي هذا الموسم يفد من بلاد المغرب العربي عشرات المئات من المغاربة ، سيرأ على أقدامهم ، حفاة عراة لا يملكون غير أنفسهم ، ويمرون بمصر في حالة مزرية يقصدون الحج ، معتمدين على التسول لحسب ، ومعتبرين أنفسهم أنهم في سبيل الله ، لأنهم يقصدون بيته . ولا يحاول عاقل إقناعهم ، بأن الحج لم يفرض إلا على من استطاع إليه سبيلا ، وأن جهاد الاستعمار الغربي الصليبي أوجب من حج البيت في مثل هذه الظروف . . . ولكنه الهوس الديني .

• • •

وكان من جنابة الهوس الديني ، أن المتهوسين يحاولون أن يجعلوا من الدنيا دارأ تافهة لأن مصيرها الزوال ، ويجب ألا تكون إلا للزهد في متاعها ، والعفة عن زيتها ، ولا يملكون من الحجة إلا تفسيرأ أحق

لقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، لأنهم لا يفقهون  
أن العمل والسعى والنشاط من العبادة التي أرادها الله ، حتى الزينة التي  
أخرج الله لعباده محرمة في نظر المتوسمين ، ومحرم على المسلم والمسلمة  
مباشرة شيء من الرفاهية ، فالموسيقى حرام ، والأغاني حرام ، ودور  
الخيالة حرام ، والرياضة حرام ، ومباهج الدنيا كلها حرام ، وكأنهم  
لم يقرأوا أبداً ، بل ولم يبروا بقول الله عز وجل :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ،  
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك تفصل  
الآيات لقوم يعلمون ، .

إن جاريتين كانتا تغنيان في بيت عائشة ، ودخل أبو بكر فقال :  
أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ؟ فقال (ص) : يا أبا بكر ، لكل  
قوم عيد ، وهذا عيدنا ، الحديث متفق عليه .

وهذه السيدة عائشة تقول : رأيت رسول الله (ص) يسترني بردائه ،  
وأنا أنظر إلى الحبشة يلبعون في المسجد . حتى أكون أنا أسأله ،  
فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللبوس البخاري ومسلم .  
وفي سنن أبي داود : أن امرأة جاءت رسول الله — صلوات الله عليه ،  
فقال لني نذرت إن رجعت من سفرك سالماً أن أضرب على رأسك  
بالدفع ، فقال (ص) « أو في بندرك ، .

وفي صحيح مسلم عن حنظلة بن الربيع قال : لقيني أبو بكر فقال :  
كيف أنت يا حنظلة ، قال ، قلت نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟  
قال قلت : نكون عند رسول الله (ص) يذكرنا بالنار والجنة ، كأننا  
رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله (ص) عافسنا (داعبنا

وخالطنا) الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً ، قال أبو بكر :  
فوالله إنا لتلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول  
الله (ص) فقلت : نأفق حنظلة يارسول الله ؛ فقال رسول الله (ص) :  
ماذا لك ؛ قلت : يارسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، كأننا  
رأى عين . فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات  
ونسينا كثيراً ، فقال رسول الله (ص) : والذي نفسى بيده ، لو تدومون  
على ما تكفونون عندي وفي الذكر ، لصالحتم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ،  
ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار .

الاسلام دين بلغ حد الكمال من السماح ، ولكن أنتى لهؤلاء المتهوسين

أن يفقهوا ؟

## الاحتكار

إن من شر هذه المعوقات الاحتكار ، وكم لاقى الاسلام من عنق المحتكرين وتزمتهم ، هؤلاء الذين لا يرتضون الاسلام ، إلا إذا ظل بضاعة محتكرة في أيديهم ، لا ينازعهم فيها منازع ، ولا يتدخل في شؤونها كبير أو صغير .

هؤلاء المحتكرون يطلق عليهم العامة رجال الدين ، ويعتقد هؤلاء العامة المسلمون أن بينهم وبين الدين حجاباً ، وأنه لا يحق لهم أن يتحدثوا عنه أو يناقشوا فيه ، لأن الحديث والمناقشة فيه من حق رجال الدين وحدهم . أما رجال الدين فإنهم يستعذبون هذه المهنة ، ويستعذبون معها جهل العامة وتحلفهم ، ويتمنون أن يظلوا ذوى طابع ممتاز يحوطه التقديس والإكبار ، وأن ينافسوا رجال الكهنوت ، حين يعتبرون أنفسهم أبناء الآلهة وألسنتها ، وأولى الناس بالتصرف في ملكوت السماء .

رجال الدين في الريف والقرى هم مشايخ الطرق الصوفية ، ذوو العمام الخضراء والحمراء والسوداء ، وهم من القدرة بحيث يجذبون جل السكان إلى الانخراط في سلك طرقهم ، ليجنوا من ورائهم الضرائب المقررة ، ويحترفوا عن طريقهم الدجل والشعوذة والتفجير بالسذج البسطاء .

رجال الدين في العواصم الإسلامية هم العلماء الدينيون . . وهم يرغبون دائماً في أن تكون لهم سلطة رجال الكهنوت في العصور المظلمة ، باعتبارهم حماة الاسلام وحراسه ، والذائدين عن حياضه وحدوده .

والأولون لا نقاش لنا معهم ، لأنهم كمية مهملة ستفرض إن قريباً وإن بعيداً ، وأما الآخرون ، فلا يستطيعون أن يأتوا بأية واحدة تمنحهم سلطة رسمية أو غير رسمية ، أو يميز لهم اعتبار الإسلام بضاعة محتكرة ، يجب أن يكون لهم مطلق التصرف فيها دون غيرهم من المسلمين .  
إن الإسلام يعتبر العلم الديني لوناً من ألوان العلم ، ويطلق لفظة العلماء ، على علماء الدين ، كما يطلقها على علماء التاريخ والفلك والطب والفلسفة والجغرافيا والكيمياء ، ولا يفرق بينهم ، لأن كلا منهم يضيء الطريق للإنسانية الحائرة .

إن القرآن الكريم تحدث عن العلم الشامل في عشرات الآيات ، وذكر العلماء في كثير من الآيات ، ولكنه لم يشر إلى العلم الديني إلا في آيات معدودات ، كما لم يميز علماء الدين عن غيرهم إلا في آية أو آيتين .  
وكذلك الرسول صلوات الله عليه — تحدث في عشرات الأحاديث عن العلم والعلماء ، ولكن لم يكن للعلم الديني ميزة على غيره ، كما لم يكن لعلماء الدين منها ما يهب لهم السيطرة على دين الله وعلى عباد الله .  
وقلنا إن العلم بشئ ألوانه يسعد الإنسانية ، ويهب للبشرية حياة طيبة مستقرة ، وإذا كان العلم الديني يضيء العقول ، وينير القلوب ، ويهدي الأبواب ، ويصوغ الإنسان في بوتقة الاستقامة ، ويطبعه بطابع الخير — فإن ألوان العلم الأخرى من شأنها أن تعمل على إنهاض البشرية ورفعها وتقدمها ، وتمهد لها في حياتها سبل الراحة ، وأسباب النعيم والرفاهية .

والمسلمون الأولون لم يدعوا لوناً من العلم الديني أو المادى إلا تعمقوا فيه ، وكان لهم قصب السبق في كل ميدان من ميادينه ، ومن العجيب

المؤلم اننا نحن المسلمين في ديارنا ، لانكاد نعلم شيئا عن علماءنا المسلمين  
السابقين ، الذين سبقوا أوروبا في علوم الطب والفلك والهندسة  
والكيمياء وغيرها ، ولكن أوروبا هي التي تقدر أقدار أولئك الأفاضل .  
إن فن فكلمة علماء الدين لا تؤدي إلا مدلول كلمة علماء الفلك والهندسة  
مثلا ، وكما أن علوم الفلك والطب والهندسة ليست محسرة لصنف من  
الناس ، وإنما هي مشاع لكل من له القدرة على مباشرتها ، ولديه  
الموهبة التي تؤهله للأخذ منها فكذلك العلم الديني بل هو أحق ، لأن  
تعليمه فرض على كل مسلم ومسلمة .

o o o

إن الدين يجب أن يكون متصلا اتصالا مباشرا بحياة الدولة  
الاسلامية ، حكومة وشعباً ونظاماً وقانوناً ، واحتكار طائفة له ،  
يجعل بقية المسلمين في معزل عنه ، ومعدورين إذا هم تخلفوا عن الزود  
عنه ، بحجة أن رجال الدين وحدهم يجب أن يكونوا مسؤولين عن الدين .  
يحدث مثلاً أن يشرع وضع أو يوضع نظام لا يقره الاسلام ،  
ويحدث أيضاً أن يبرز في المجتمع اتجاه يأباه الاسلام ، فتكون  
النتيجة أن يلتزم كل مسلم حدوده ، وإما أن يتحرك علماء الدين من تلقاء  
أنفسهم ، وإما أن يحركهم الغيورون حتى يتحركوا ، لأن علماء الدين في  
نظر العامة يجب أن يكونوا وحدهم المسؤولين عن الدين والأخلاق ،  
لأنهم الأوصياء وليس لغيرهم أن ينازعهم هذه الوصاية المزعومة .  
منذ عشرة أعوام ، اتجه تفكير كثير من الوعاظ وأئمة المساجد إلى  
مكافحة هيئة إسلامية كبرى ، لأنها تنازعهم اختصاصهم . وتنافسهم  
في ميدان لا يحق لغيرهم الدخول فيه .

ومنذ أعوام مضت جلس أحد أئمة المساجد ، وهو لا يملك من  
مظاهر العلم إلا شهادة العالمية ، ولا من مظاهر الدين إلا عمامته الضخمة  
— جلس هذا العالم الديني يقول في جمعية دينية : إن من نكد الدنيا  
على الاسلام ، أن يتصدى و حسن البناء ، — لتفسير كتاب الله وهو ليس  
إلا مدرس خط ...!

وليست أمثال هذه الآراء في حاجة إلى ذرة من التعليق ، وليكن  
الذي نود أن يفقه هذا الشيخ ، أن الدين ليس ملكاً له ولا مثاله ،  
وإنما هو ملك للمسلمين جميعاً ، ومسئوليتهم عنه ، لا تقل عن مسؤوليته  
هو ، فمسئولية العالم الديني تنحصر في ناحيتين : الأولى أن ينشر العلم  
ولا يكتمه ، ولا يرضن به ، والأخرى أن يعمل بما علم ، وليس هو  
وأمثاله وحدهم مسئولين عن كيان الدين ، بل يشاركونهم المسؤولية كل  
مسلم في مشارق الأرض ومغاربها .



هَذَا الصُّدَاعُ

## المعارك الهزيلة

إن المعارك الهزيلة باسم الاسلام أكثر من أن تحصى أو تعد ، وكان رسالة الاسلام لم تأت إلا لتخلق عقولا متنافرة لا تجيد غير الجدل ..  
ولو أن هذه المعارك الهزيلة بين مسلمين وغير مسلمين لكان لنا رأى فى هذه المعارك ، علما بأن الاسلام لم يجيء إلا ليوجد أمة تشمل العالم بأسره ، ويربط بين أفراده وجماعاته بروابط الأخوة والانسانية .  
وفى سبيل هذه الروابط نهى أن يجادل المسلمون أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .

وأحق الناس باحترام هذه الروابط هم المسلمون أنفسهم ، ولا يقر الاسلام أى مجال يتنازعون فيه .

ولكن المسلمين أغضوا هذه المعاني ، ودفعهم حب الظهور ، وشهوة الجدل ، إلى هذا التفرق الذى يهدم كيان الاسلام .

ولقائل يقول : إن المسلمين منذ العصر الاسلامى الاول ، والرسول بين أظهرهم كانوا يختلفون ، ولكن ليفهم هذا القائل أن اختلافهم لم يكن إلا اختلافاً فى الرأى ، ولم يكن هناك تعصب يخفى وراء آرائهم ، يقلب الحق باطلا ، والباطل حقاً ، ويمزق أواصر أخوتهم ، ويصير حياتهم مزيجاً من الجدل والنزاع .

ولقد جاء القرآن حريصاً كل الحرص على صون وحدة المسلمين من أن تمزقها الاختلافات ، وعلى صون أخوتهم من أن يصيبها الجدل المعقد بالاضمحلال .

« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم  
عن سبيلى ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، ١٥٣ — الأنعام  
« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً آست منهم فى شىء ، ١٥٩ الأنعام .  
وطالما أكد الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — الحرص على  
وحدة المسلمين من الخلاف الذى يصيبها بالوهن ، واعتبر أن النيل من  
هذه الوحدة هو الكفر بنفسه ، ألا تراه يقول :

« لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، رواه الجماعة .  
« من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربة الاسلام من عنقه ،

رواه أبو داود

إن هناك مرجعين للمسلمين كفيولين بصون وحدثهم من أن يناهيا  
ذرة من الضعف ، هما كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، وقد  
لفت القرآن أذهان المسلمين إلى هذين المرجعين ، ليكونا بمثابة الحكم  
لهم إذا ما حاول الشيطان أن ينزغ بينهم ، وحاولت الأهواء أن تعبت  
بوحدهم ، ولا يتمرد على هذين المرجعين إلا مارق من الاسلام أو  
منافق يضمه له كيداً :

« ... فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون  
بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً — ألم تر إلى الذين  
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن  
يتحاكوا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن  
يضلهم ضلالاً بعيداً — وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى  
الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ، ٥٩ — ٦١ النساء .

والرسول عليه السلام ربط هداية جماعة المسلمين بهذين المرجعين ،  
واعترهما أقوى ضمان لهم من الزبغ والضلال .  
« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة  
رسوله » أخرجه الموطأ .

° ° °

وأشياء هذه المعارك الهزيلة من المسلمين المتطعين ، لم يعدموا  
وقوداً لمعاركهم ، فهم يتلمسون حتى أتفه المسائل التي لا يتحمل بها إلا صغار  
العقول ، يتلمسون هذه المسائل التافهة ، ليظل ميدانهم صاخباً ، عامراً  
بالجدل الذي ينم عن السفه والحمق .

### المعجزات :

إن المعجزات للنبي محمد عليه السلام من وقود هذه المعارك الهزيلة ،  
فهؤلاء يرون أن معجزات النبي تنفق مع منطق رسالته وفلسفتها ، وأن  
الأموار الخارقة للعادة ، والظاهرة للعيان ، كمعجزات الأنبياء السابقين ،  
ليست شرطاً في معجزاته .

أما أولئك ، وهم في الغالب من الجحافل الجهلاء ، فيشورون ،  
ويعلنونها حرباً شعواء في غير ما حاجة إليها ، ويأبون إلا أن يكون  
لمحمد معجزات خارقة للعادة ، لأنه ليس أقل من موسى أو عيسى أو  
إبراهيم أو نوح .

وهم لا يتنازلون عن إضافة كل ما حدث من معجزات للرسل السابقين  
إلى النبي عليه السلام ، وكأن أفهام المسلمين في نظرهم أحط من أن  
تدرك عظمة الاسلام وعظمة محمد إلا بهذه الخوارق .

وأنت إذا جلست في حفل لإحياء ذكرى ميلاد الرسول ، بمسجد  
من المساجد أو بغيره ، سمعت العجب العجاب مما لا يقره دين ولا عقل  
ولا منطق .

إن شخصية محمد تعرض عرضاً لا يليق إلا بشخص جاء ليقدم للعالم  
ألوأناً من الخوارق التي تخطف الأبصار .

وأشيع الخوارق يحوطن شخصية محمد عليه السلام بكثير من  
هذه الخوارق ، التي لزمته منذ أن كان جنيناً في بطن أمه ، إلى أن لقي الله  
عز وجل .

فيوم ولادته شاهدت أمه الأرض تنشق عن نور وصل إلى عنان  
السماء ، وحضرت ولادته آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وولد  
مكحولا محتوناً ، ورأت أمه الأنبياء واحداً واحداً في منامها يبشرونها  
بولادته ، وانطفأت نيران فارس ، واهتز إيوان كسرى . وتسلمته حليلة  
مرضعه ، فدرلبنها بعد أن كان غائراً ، وكانت تشاهد غمامة تظله إذا سار في  
الشمس ، ولم يكذب يخطى العاشرة من عمره حتى أتاه ملكان ، فأخذه  
وشقا صدره وملاه علماً وحكمة ونوراً .

ويقولون : إن الماء نبع من بين أصابعه ، والحجر نطق بين يديه ،  
والغزاة شكت إليه قسوة الصياد ، والجذع بالمسجد حن إليه ، والحصي  
سبح بين يديه ، وفي إحدى الغزوات رد عين قتادة بعد أن اقتلعت في  
الميدان ، وكسر سيف عكاشة فالتقط عوداً من الأرض وسلمه إياه ،  
فصار في لحظات سيفاً بتارا قتل به العشرات .

وهناك من تخصص في هذه الخوارق من أمثال « البيهقي » في كتابه  
« دلائل النبوة » الذي بلغ عدة مجلدات ضخمة ، وهناك غيره لم يكن له

هدف في حياته سوى الاهتمام بالمعجزات ، يتلمسها من أوهى الأحاديث  
 المنسوبة إلى الرسول ، ويلتقطها من تأويلات أضعف التفسير القرآنية ،  
 فراح يصنف ويرتب ، معتقداً أن في عمله هذا ما يقربه إلى الله عز وجل .  
 وقد يشور نائر من الجهلة المنتطعين على هذا العرض ، ويتهمنا بأننا  
 من ينكرون المعجزات للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، ثم لا يسعه إلا أن  
 يرمينا بالكفر ، وأننا نمرق من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية .  
 نحن لا نشكر أن الله قادر على أن يمدحاً بملايين المعجزات إذا  
 احتاجت ظروف رسالته إليها ، ولكن الذي ننكره ، أن تحاط  
 شخصيته منذ ولادته إلى وفاته بسلسلة متصلة من الخوارق ، لنصرف  
 الأذهان عن معاني رسالته الحية ، التي تنهض بالانسانية والبشرية من  
 الحضيض الى القمة .

ولا ننكر ما اقتضته ظروف الرسالة من الامور الخارقة التي سجلها  
 القرآن الكريم ، والأحاديث المتواترة ، إن كان هناك حديث متواتر  
 أو أكثر في هذا الصدد ، والأحاديث الصحيحة التي يقبلها المنطق السليم .  
 « ولقد نصركم الله بيدرو أنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلمكم تشكرون  
 — إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من  
 الملائكة منزلين ، ١٢٤ — آل عمران .

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى يمدكم بألف من الملائكة مردفين  
 — وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله ،  
 إن الله عزيز حكيم — إذ يغشاكم العاص أمنة منه ، وينزل عليكم من  
 السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، ويربط على قلوبكم  
 ويثبت به الأقدام ، ٩ — ١١ — الأنفال .

.. فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، ٤٠ - التَّوْبَةُ .  
وَيَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ  
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، ٩ - الْأَحْزَابُ .

هذه بعض الأمور الخارقة التي سجلها القرآن ، ولا يمكن لأحد أن  
ينكرها ، أو حتى يؤولها ، وهي أمور اقتضتها ظروفها .

ثم إن منطق الدعوة الإسلامية لم يكن في حاجة إلى الآيات الخارقة التي  
لم تخل منها الرسالات التي سبقتها ، وذلك لأسباب منها :

أولاً : أن الرسالات السابقة كانت رسالات محدودة الزمان والمكان ،  
والآيات الخارقة يمكنها أن تنتشر في الأماكن المحدودة وإلى الوقت  
المحدد ، لتسكون دليلاً على أن الرسل مؤيدون من الله عز وجل .

أما الرسالة المحمدية ، فهي رسالة غير محدودة المكان ، لأنها جاءت  
للناس كافة ، وغير محدودة الزمان لأنها آخر الرسالات ، ويجب أن تظل  
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولذلك كانت معجزة الرسالة المحمدية الخالدة هي كتاب الله ، الذي  
يمكنه أن يعم الآفاق ، وأن يظل إلى الأبد .

ولهذا الرأي سند من كتاب الله نفسه .

وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ،  
وإنما أنا نذير مبين - أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ،  
إن في ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون ، ٥٠ ، ٥١ - العنكبوت

وفي آيات أخرى أشار القرآن إلى أنه هو المعجزة الكبرى ، الخالدة  
ما خلدت السموات والأرض ، ورغم هذا فإن المتمردين ألحوا في طلب

الآيات الخارقة للعادة ، لأن عقلياتهم كانت أقرب إلى عقليات الضيقة منها إلى عقليات الكبار المفكرين ، وقد رد القرآن عليهم ، بأن منطق هذه الرسالة ليس كمنطق ما سبقها من الرسائل ، وأن شخصية محمد أرفع من أن تحاط بالآيات الخارقة كقياس لتقديرها .

« قل لن اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً — ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فإبى أكثرُ الناس إلا كُفُوراً — وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً — أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً — أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قسيلاً — أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ، ٨٨ — ٩٤ — الاسراء »

ثانياً : أن الآيات الخارقة التي حدثت في عهد المرسلين السابقين ، لم تكن وسيلة إلى الاقناع والايان ، اللهم إلا في حالة واحدة على وجه التقريب ، حين ألقى موسى بعصاه فأمن السحرة ، ولم يكن السحرة هدف هذه الآية ، وإنما كان هدفها فرعون وقومه — هؤلاء الذين ازدادوا بها كفراً وطغياناً ، وقد كان إعراض الأمم السابقة عن الآيات الخارقة ، وسخريتها منها : هو السر في عدم حدوث آيات خارقة في عهد الرسالة المحمدية :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ... »



ولقد وضح القرآن أن الناس إزاء الرسالة المحمدية ، لن يكونوا  
أقل تمرداً على الآيات الخارقة ، ولا أقل سخرية منها وإعراضاً عنها :  
« ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلسوه بأيديهم ، لقال الذين  
كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ، ٧ - الأنعام

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما  
الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ١٠٩ - الأنعام  
« ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء  
قبلاً ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون ،  
١١١ - الأنعام

ولسنا ندري لم يصبر هؤلاء المتعصبون على أن يكون لمحمد آلاف  
المعجزات ، إذا كانوا يريدون إكرامه بها ، فتكليفه الرسالة وحده  
إكرام لا يدانيه إكرام ، وإن كانوا يريدون تأييد رسالته بها ، فإن  
نشرها رغم جبروت أعدائها ، وانتصاراتها في الغزوات ، وثبوتها هذه  
القرون الطويلة في عدة ميادين ، وتسربها إلى ما وراء البحار - إن في هذه  
كلها لأكبر دليل على تأييدها من الله عز وجل .

أما إذا كانوا يريدون الغلو ، والانسحاق وراء العاطفة الكاذبة ،  
فهو الجهل والسفه والحقق !..

واسنا ندري لم يصبر هؤلاء المتعصبون على أن يشيروها حرباً شعواء  
من أجل هذه المعجزات ، التي لا ترفع من قدر محمد إذا ثبتت له ،  
ولا تحط من شأنه إذا لم تثبت له ، وحسبه كتاب الله تعالى معجزة  
خالدة لرسالته .

إننا إذا أردنا أن نغزو قلوباً لم تشرق فيها شمس الإسلام بعد ،  
لن يكون سلاحنا إلا القرآن الذي يحمل بين دفتيه معاني الإسلام الحية ،  
وسوف نكون موضع سخريه هذه القلوب ، إذا كان ما نحمله من سلاح ،  
هو حفظ بعض قصص عن تسبيح الحصى بين يدي الرسول ، وحنين الجذع  
إليه ، وتكليم الضب له ... وما إلى ذلك .

فتي يفقه هذا هؤلاء المتعصبون ..؟

° ° °

### التوسل :

والتوسل أيضاً من وقود هذه المعارك ، التي لم يزل يشعلها صغار  
العقول من المحسوبين على الإسلام ظلاماً وعدواناً .

وللتوسل بالصالحين أحزاب تناصبه العداء ، وتكفر المتوسلين  
الساعين إلى الأضرحة طلباً للبركة ، ورجاء لقضاء حاجاتهم ، ولا تأخذهم  
في تكفيرهم هوادة ولا رحمة .

وهؤلاء الأعداء لهم جماعات دينية لا هدف لها إلا محاربة التوسل ،  
وتعتبر أن هدفها لا يقل خطراً عن هدف الرسالة المحمدية في أول طور  
من أطوارها ، ولهم مجلات دينية تنطق بألسنتهم ، وتسوق في كل صفحة  
من صفحاتها عشرات الآيات القرآنية ، وعشرات الأحاديث النبوية ،  
كدليل ناطق بتكفير المتوسلين بأصحاب الأضرحة ..!

وللتوسل أيضاً ، أنصار وأشباع يتعصبون له ، ويتمون أعداءه  
بالزندقة والالحاد والمروق من الإسلام ، ولهم جماعات دينية ، ومجلات  
دينية ، تكافح في سبيل عقيدتهم البلهاء ..!

وهؤلاء الأشياع والأنصار ، يأخذون من القرآن والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ما شاءوا لعقيدتهم ، ويكتفون بما يأخذون حتى يتفق مع أهوائهم .

وبين هؤلاء وأولئك حرب ضروس لا يخمد لهيها ، وعداء مستحکم لم يكتب له بعد أن يخف ولو قليلا ، وليست لهذه الحرب ، وذلك العداء أسلحة ، سوى السب واللعن والقذف .

وكلا الجيشين ، يسيطر على جزء من الرأي العام الاسلامي في كل مكان ، يشغله بهذه المعركة الهزيلة ، دون أن يصرفه عنها حتى أفدح الأحداث التي تصيب الاسلام والمسلمين وأوطانهم ، والفريق الأول لا يعترف بالمنطق ولا بالحكمة والموعظة الحسنة ، في تحويل الجبهة المتوسلين عن جهلهم وغباوتهم ، ولا يتنازل عن تكفيرهم ونعتهم بالوثنيين ، ملتسماً لهم من جهلهم عنذراً ، وأصبح متخصصاً في هذه الناحية ، حتى أصبحت شهوة البروز والظهور — لا عقيدة الاسلام — هي التي تدفعه وتحركه ، وتقوده إلى المعركة الهزيلة الفاضحة .

والفريق الآخر ، لا يقر منطقاً ، ولا يقنع بحجة ، ولو سقت إليه ألف آية قرآنية ، وألف حديث نبوي ، لا يتنازل عن التوسل ، لأنه يعده جزءاً من عقيدته .

والذين يقدر لهم أن يصلوا في المساجد ذات الأضرحة ، يرون العجب العجيب من الجهل المطبق الذي يشير كوا من الألم .  
كتل بشرية تظل ساعات لاصقة أفواها بمجدران الأضرحة ، متوسلة بمن فيها ، وهذه الكتل تأتي من شتى البقاع ، راجية قضاء الحاجات كبيرها وصغيرها ، ومن هذه الكتل من لا يكفيه التوسل

بلسانه ، فيلجأ إلى كتابة حاجته في ورقة ، وإلقائها بداخل الضريح ، حتى لا ينسى حاجته الراقده فيه .

وأنت لاتقوى على نصح هذه الكتل البشرية ، وإرشادها إلى أن الله قريب منا ، يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وأنه وحده هو القادر على قضاء حاجتنا ، وأن أصحاب الأضرحة عبيد الله مثلنا ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ... أنت لاتقوى على نصح الكتل البشرية الجهلاء ، لأنه لا طاقة لك بسفاهتها وحمقها ، ولا طاقة لعقلك بفلسفتها العرجاء حين تنطلق ألسنتها ، بأن هؤلاء أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهم أقرب الى الله منا ، ونحن لاتقصدهم ليقضوا لنا حاجتنا ، وإنما نقصدهم متوسلين بهم الى الله في قضاء هذه الجاجات .

والكثير من هذه الكتل البشرية الجهلاء ، يعتقد أن في زيارة الأضرحة تقرباً إلى الله ، ينال عليها أجل الثواب ، وهو يدخر من قوته الضروري ليقطع مئات الأميال ، لزيارة الأضرحة ، تاركاً أسرته وأعماله ، وربما كان بيته في مسيس الحاجة إلى كل مليم من نفقات رحلته المباركة !!!

إن بعض الجهلة يعتقد أن من زار ضريح السيد أحمد البدوي بطنطا بالديار المصرية سبع مرات ، احتسبت له الزيارات السبع حجة ، تغنيه عن حج بيت الله الحرام ، وعلى هذه العقيدة يحرص كثير من هؤلاء الجهلة على قضاء الزيارات السبع ، حتى لا يكلفوا أنفسهم مشاق الحج ومتابعيه .

وكفى التوسل من مهازل ابتكبرتها جهالة أشياعه ، وصاغتها عقولهم المخرفة .

ولست جناية التوسل قاصرة على هذه الخرافات ، وإنما الجناية الكبرى هي المعارك الهزيلة الصاخبة بين أشياع التوسل وأعدائه ، والتي تشغل كمية من المسلمين عن معالى الأمور ومهامها ، وتضرب بمعول من حديد التمزيق وحدتهم التي أرادها الله لهم ، لتصون قوتهم وتحفظ كياناتهم وتصد عنهم غارات العدو .

• • •

### كرامات الأولياء :

وكرامات الأولياء أيضاً من وقود المعارك الهزيلة ، وأنصارها وأعداؤها هم أنصار وأعداء التوسل ، وكلا الفريقين متعصب لرأيه ، تتفق عقليته عن عمقيرة عمياء في التأويل ، وإفساد معاني القرآن والحديث النبوى .

ولسنا ندرى ماذا يضير الاسلام ومنكرى الكرامات أن تجرى الأمور الخارقة على أيدي الصالحين ، وماذا يضير الاسلام وأنصار الكرامات ، ألا تجرى هذه الأمور الخارقة على أيدي الصالحين ؟ وهل لم يبق ما يهيم المسلمين المستضعفين ، وأوطانهم المنكوبة ، ودينهم المضطهد ، إلا كرامات الأولياء والصالحين ؟؟

إن هذه المعركة لمن أهزل المعارك التي يثيرها الغوغاء من المسلمين الجهلة ، والمتعصبين الحق ، فهذه المسألة لا تخص العقيدة في شيء ، وما دام لم يرد فيها آية صريحة ، ولا حديث نبوى متواتر ، فلا يحق لأنصارها أن يتعصبوا لها ، ولا يعتبر منكروها عصاة أو زنادقة .

بل إن اعتقاد الجهلة في الكرامة ، سؤل لكثير من الدجالين

استغلالها في الاحتيال على البسطاء من الدهماء ، وإن كثيراً من المحتالين  
أيتوارون وراء تقوى مزيفة ، وصلاح دخيل ، ليبيعوا الكرامات  
للسذج بأهبط الأثمان .

والكرامات المزعومة إنما يتخيلها أتباع الصالحين ، ومعظمهم من  
مشايخ الطرق الصوفية البلهاء ، ومنها ما هو أكبر من الخيال ، وبما  
لا يقره حتى أحط المعتوهين عقولا .

ولوحاولت أن تعارض هذا الخيال الخصب في الكرامات المزعومة .

لأجارك منطق الجهلة : إن الله قادر على كل شيء . 100

وبهذه الإجابة المقتضية ، يحتم علينا أن نصدق مثلاً ، أن السيد أحمد  
البدوي صاحب الضريح المشهور بطنطا — بالديار المصرية — كان  
يرى الأكمة والأبرص والمقععد والأعمى ، وأن إبراهيم الدسوقي  
صاحب الضريح المشهور بدسوق — بمصر — استطاع أن يخلص أمه  
من قبضة سفاح أرادها سوءاً ، وهو جنين في بطنها ، وأن جلال الدين  
السيوطي صاحب الضريح المشهور بأسسيوط بمصر ؛ رأى النبي في اليقظة  
نيفاً وعشرين مرة ، وكان يصحح عليه بعض الأحاديث النبوية .

o o o

ولست المعجزات ولا التوسل ولا الكرامات وحدها ، هي وقود  
هذه المعارك الهزلية ، وإنما هناك قضايا أخرى . ومسائل من التفاهة  
يمكن ، يقدها الغوغاء من المسلمين الحق وقوداً لها .

فهناك معركة تثار كلما حان يوم الإسراء والمعراج ، ففريق يرى أن  
الإسراء والمعراج ، كان بجسد النبي وروحه ، والفريق الآخر يرى أنهما  
كانا بروحه فقط .

وفي صخب المعركة تتلاشى العظة والعبارة من قصة الإسراء والمعراج .  
وهناك معركة تشتعل كلما حلت ليلة الخامس عشر من شهر شعبان ،  
من أجل ليلة النصف ، فجماعة تتعصب لهذه الليلة ودعاتها المشهور ، وجماعة  
ترى أن هذه الليلة بدعة من وضع المخرفين الجاهل .

وهناك الأذان للصلاة ، فهو لا يؤذنون أذاناً شرعياً لا زيادة  
ولا نقص فيه ، ولكنهم متهمون بالوهابية ، ومحكوم عليهم بالحرمان  
من شفاعة الرسول ، وأولئك لا يكتفون بالأذان الشرعي بل يزيدون عليه  
عبارات الصلاة على الرسول المشهورة ، ولكنهم متهمون بالابتداع ،  
ومخاطبتهم حرام ، والصلاة خلفهم مكروهة كراهية التحريم .

وإذا كان للفريق الأول منطق ، فلا تكاد تجد منطقاً للفريق الآخر ،  
اللهم إلا التاويلات الواهية لبعض الأحاديث النبوية . وبين الفريقين  
معركة طاحنة لا تعرف الخمود ولا الهدوء ، لأن الحماسة المسيطرة على  
العقول أقوى من أن تتلاشى — في سبيل وحدة المسلمين وصونها من التفرق  
والتنازع .

ولو أردنا أن نحصر المسائل التافهة التي تشتعل من أجلها المعارك  
الهزيلة ، لضاق بها أمثال هذا الكتاب ، ولسنا ندرى . . . إلى متى  
تظل هذه المعارك الهزيلة تمزق وحدة المسلمين ، وتورث صدورهم  
الشحناء والبغضاء ، وتشغلهم عن النكبات التي تحرق بهم وبدينهم  
وبوطنهم من حين لآخر ؟!! .

## التصوف

أعتقد أن الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد المسلمين بحالتها الراهنة .  
لا تعتبر إلا معول هدم للإسلام من أساسه .

ولو كانت هذه الطرق الصوفية البلباء تمثل فكرة بعيداً عن محيط  
الإسلام ، لكان أمرها ، وخف خطبها ، ولكنها ألصقت بالإسلام  
بهتاناً وزوراً ، وهي ليست من الإسلام في شيء ، ولا زال الجهلة من  
المسلمين ، وكذلك المستشرقون ورجال الفكر الغربيون ، يعدونها أصلاً  
من أصول الإسلام ، وهي لا تمت إلى الإسلام بصلة .

ولا بد أن نفرق هنا بين التصوف والطرق الصوفية ، نفرق بين  
التصوف كنزعة تغلغلت في القلوب قروناً ، وشغلت أذهان المسلمين  
وغير المسلمين ، ولا زالت آثارها تدرس وتبحث ، ويختلف فيها  
الفلاسفة وغيرهم ... نفرق بين نزعة التصوف هذه ، وبين الطرق الصوفية  
كحرفة يحترفها العاطلون والدجالون والمحتالون ، ويخدع فيها الجبلية من  
العامة الذين يخطف أبصارهم بريق المظاهر .

ولا خلاف في أن الصوفية كنزعة ، إنما بدأت في منتصف القرن الثاني  
الهجري .

وكانت الشيعة هي التي وضعت أول لبنة في هذه النزعة ، لتخدم  
أغراضها وتحقق أهدافها .

ولهذه النزعة الصوفية فلسفة ، تختلف باختلاف أفكار أساطين



المتصوفة ، وقد تأتي فلسفة البعض منهم أحياناً بما يقره العقل والدين ،  
وقد تأتي فلسفة البعض منهم أيضاً ، مما لا يعترف به ولا يقره العقل ،  
وفي كثير من الأحيان تأتي فلسفة النزعة الصوفية مزيجاً من الطيب  
والردي ، مما يدع أفهام الناس حياله مضطربة مرتبكة .

يرى الكرخي أل التصوف . هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في  
أيدي الخلاق ، — من الرسالة القشيرية .

ورأى الكرخي هذا يعتبر من أقدم الآراء وأكثرها اتزاناً .

وإذا تركنا رأي الكرخي إلى غيره من زعماء الفلسفة الصوفية ،  
وجدنا أمامنا آراء هي غاية في الحماسة والتعقيد .

فسمون مثلاً يرى أن فلسفة التصوف : هي ألا تملك شيئاً ، ولا يملك  
شيء ، — من كتاب اللمع في التصوف للسراج الطوسي .

وسئل الحضرمي عن الصوفي فقال : هو الذي لا نقله الأرض ولا تظله  
السماء ، — من كتاب التصوف الإسلامي العربي .

ويرى أبو يزيد البسطامي : أن فلسفة التصوف هي الجوع والعطش ،  
وأن الإنسان الصمداني لا يأكل غير مرة واحدة في ثمانين يوماً .

الرسالة القشيرية ،

وإذا تركنا هذه الآراء الحقاء ، وجدنا هناك آراء جاءت مزيجاً

— كما قدمنا — من الطيب والردي ، مما لا طاقة للعقول بتسكييفها :

قال رويم بن أحمد البغدادي :

التصوف مبني على ثلاث خصال :

و التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقيق بالبذل ، وترك الغرض

والاختيار ، — الرسالة القشيرية .

وفي كتاب التعرف في التصوف : التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإحماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلم بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة . وقد أدت هذه الفلسفة المعقدة الحمقاء إلى كثير من الشطحات التي تهدم كيان الشرع ، وتعطل سنن الحياة كما أرادها الإسلام لاستقرار هذه البشرية .

قال بعضهم : العارف لا يستقيم قبيحة ولا يستحسن حسنة .  
وقال بعضهم : العارف لا ينكر منكرأ لاستبصاره بسر الله في القدر ، ( ١ ) .

وسئلت رابعة العدوية : لم لا تزوجين ؟ فأجابت :  
« هذا يتعلق بمن له حرية الاختيار ، أما أنا فلك لله ولا أملك نفسي لأهبها » - التصوف الإسلامي العربي .  
وهناك مراجع كثيرة لهذه الشطحات التي طغنت الشريعة الإسلامية في ظهرها ، وأهم هذه المراجع : « الرسالة القشيرية ، ولواقح الأنوار ، للشعراني ، « وحلية الأولياء ، لأبي نعيم ، « وتذكرة الأولياء ، لفريد الدين العطار ، « وديوان المسنقي ، لجلال الدين الرومي ، وهو يحوى ٢٧٠٠٠ بيت من الشعر ، « وقوت القلوب ، لأبي طالب المكي ، وإحياء علوم الدين ، للغزالي ، « والتعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذي ،

---

( ١ ) « رسائل الإصلاح » للسيد محمد الخضر حسين .

« واللمع في التصوف » للسراج الطوسي ، « والفتوحات المسكية » لابن عربي ، ومؤلفات السهروردي والحلاج وشعر ابن الفارض .

° ° °

وقد أدت مثل هذه الشطحات إلى إزهاق أرواح بعض فلاسفة المتصوفين ، وفي مقدمتهم « الحلاج » الذي قتله شرعاً وزير الخليفة المقتدر عام ٥٣٠ هـ ، والسهروردي المقتول . الذي قتل بأمر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٧ هـ

كما أدت فلسفة النزعة الصوفية إلى كثير من النظريات الهدامة ، وأبرز هذه النظريات : نظرية الحلول ووحدة الوجود ، والكشف والتجلي والتصرف ، والذي لا شك فيه أن هذه النظريات مستمدة من الأفلاطونية الحديثة . والبوذية ، والاسماعيلية الباطنية ، والرافضة وغيرها .

° ° °

وقد أنبتت نظرية وحدة الوجود نظرية وحدة الأديان . وهذه النظرية من أخطر النظريات الهدامة ، وقد اعتنق هذه النظرية الحلاج وابن عربي وابن الفارض ، وجلال الدين الرومي وغيرهم .

يقول ابن العربي : لا تنصرف بكليتك عن كل الأديان إلى دين واحد ، فتكفر بكل ما جاءت به ، فتخسر كثيراً . فالله عام للجميع لا يختص بفرقة دون فرقة ... ألم يقل جل جلاله : « أينما تولوا فثمَّ وجه الله » من كتاب التصوف الإسلامي العربي .

وقد كانت نظريته هذه سافرة في شعره — كما جاء في بعض مؤلفاته

حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان  
 ويديت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن  
 أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني  
 أما القرآن الكريم فقد كان أعبوبة في أيدي هؤلاء الفلاسفة  
 المتصوفين ، مستغلين سداجة العامة من ناحية ، ومن ناحية أخرى انشغال  
 الدولة الإسلامية بحروبها الخارجية ، واختلافاتها الداخلية ... والإسلام  
 لم يزل إلى اليوم يعاني شرور النزعة الصوفية ، في المؤلفات الضخمة التي  
 تركها زنادقتهم ، وفي هذه الفرق الباطنية المنتشرة في الشرق الإسلامي ؛  
 لاسيما الهند ، وفي مقدمتها الاسماعيلية ، والبابلية والبهائية والقاديانية  
 وغيرها .

### الطرق الصوفية :

كان لا بد للنزعة الصوفية من تنظيم يجمع حولها الأشيعاء والأنصار ،  
 ويربط قلوبهم وأرواحهم وعقولهم بها .  
 فنشأت بعد منتصف القرن الثالث الهجري الطريقة السقطية نسبة  
 إلى السرى السقطي ، والجنيدية نسبة إلى الجنيد ، ثم نشأت بعد ذلك  
 طرق صوفية كثيرة في القرنين السادس والسابع ، أهمها : القادرية نسبة  
 إلى عبد القادر الجيلبي ، والرفاعية نسبة إلى أحمد الرفاعي ، والشاذلية  
 نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي ، والمولوية نسبة إلى جلال الدين الرومي ،  
 والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي .  
 وكان لهذه الطرق سلوك فيه القليل من الاتزان ، وآخر يفيض سفها  
 وشططا ، كما كان لها اتجاهات ثلاثة هي غاية في الخطورة :

أولها : أن تصبغ المرید بصفة الفناء في شيخه ، حتى يعتبره دينه  
ومذهبه ، ودنياه وأخرته ، وماضيه وحاضره ومستقبله .

وثانيها : أن تصرف المرید عن الدنيا ، وتغزله عن وحدة المسلمين  
وشؤونهم ، ومهام أمورهم التي تتعلق بكيان دولتهم ، وتطبعه بطابع الدعة  
والتواكل والخول .

وثالثها : أن تجعله يعيش في جو غامض ، مشبع بالالغاز المعقدة ،  
مليء بالخيبالات والأوهام ، وتسيطر على عقله . حتى يجعل بينه وبين  
روح الشريعة جفاء مستحكماً .

والطرق الصوفية التي لم تزل على مسرح المجتمع الإسلامي ، في هذا  
الشرق المتخلف عن ركب الإسلام الصحيح ، تأثرت تأثراً كبيراً بهذه  
الاتجاهات الخفاه ، وازدادت حمقاً بها ، تبعاً للبريدين الذين أصبحوا  
اليوم من السذج البسطاء ، والجهلة الأغبياء ، وأشياع البطالة ، وتبعاً  
لشيوخها الذين احترفوا الطرق كوردالارزاق ، ووسيلة للعيش ، ومصنع  
لنماذج من الدجل والشعوذة والتفجير .

ونحن لانكاد نجد حرفة لهذه الطرق الصوفية البلهاء سوى الارتزاق ،  
والدجل والمهدم في كيان الإسلام بمعاول من فولاذ .

إن بعض أتباع هذه الطرق من المجاذيب لا يقيم الفريضة في مساجد  
المسلمين ، ولا يمكنك الاعتراض عليه ، لأنه يصلبها مع النبي في البرزخ .  
وبعض المجاذيب يشرب الخمر علناً ، ولا يمكنك الاعتراض عليه  
لأن الله يصيرها له عسلاً مصفى ١٠٠!

وبعضهم يشرب الخمر لينفر بها الملائكة ، الذين لا يدعونونه يحظى من  
النوم بلحظات ١١٠٠!

والكثرة الساحقة من أتباع الطرق يحترفون البطالة بحجة أن الله  
هو الرزاق ذو القوة المتين — وفي السماء رزقكم وما توعدون .!

وهؤلاء لا عمل لهم طول العام إلا التنقل من بلد إلى آخر لزيارة  
أضرحة الأولياء والصالحين ، رغبة في نيل البركة ، والتماس الخير ،  
وطلباً للأجر من الله ... لأن خطواتهم لم تسكن إلا في سبيله !  
حتى ذكر الله لم يسلم من تحريف هؤلاء الحمقى ... فلا زال أتباع  
الطريقة الشاذلية يذكرون الله بهذه الألفاظ .  
آه - إيه - آه - أوه ..

ولا يزال أتباع بعض الطرق الأخرى يلهجون بذكر الله لهجات  
أقرب إلى الألفاظ منها إلى الألفاظ ، ولهم تفسيرات لا يقنع بها سوى  
المجانين والمعتوهين .

وهل للطرق الصوفية اليوم رسالة تؤديها نحو الإسلام أو أوطانه ،  
أو شعوبه أو مجتمعه ؟

اللهم سوى ما ذكرنا من الفوضى باسم الإسلام .  
إذا كانت هذه الموالد التي تظل طول العام في حركة دائمة هنا وهناك ،  
هي رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم إن الإسلام لن يغي عنها .  
وإذا كانت حلقات الأذكار الصاخبة التي نشاهدها في الشوارع  
والميادين وأمام المساجد ، هي رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم إن  
الإسلام ليس في حاجة إليها .

إذن فلم تظل هذه الطرق الصوفية تخدم الاستعمار في الدول الإسلامية  
المستعمرة ، لأنها تسيطر على جزء من الرأي العام ، وتغمض أعينه عن  
وصمة الاستعمار . ؟

إن سفارات الاستعمار في كل دول المسلمين تعنى بالطرق الصوفية .  
وتكافئ شيوخها بمكافآت سخية ، حتى يواصلوا نشاطهم من أجل  
الاستعمار وعيون الاستعمار .

وهي أيضاً تخدم الحكم الأقطاعي الجزائر ، لأنها أيضاً تغلق أعين

مرديها عن فوضى الحكم ، وتصب في آذانهم ، أن الاعتراض على  
الأوضاع الفاسدة ، هو اعتراض على قدر الله ومشيئته .

ولا أنسى - قبل ثورة الجيش - يوم كنت في أحد مساجد القاهرة  
خطيباً ، وكان موضوع الخطبة تنديداً بالحكم الأقطاعي ، والأوضاع  
الفاسدة ، وسكوت الرأي العام الذي تخلف عن واجبه .

ولم أكد انتهى من الصلاة حتى تربع أمامي شيخ ، وأخذ في أسلوب  
لين يعترض على موضوع الخطبة قائلاً : ما علينا إلا أن نسلم بكل وضع ،  
لأن مشيئة الله اقتضته ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ، ألم يقل الله  
عز وجل : دع الملك للملك ، والخلق للخالق ، والدين للدين !!

ولم أستطع أن أجيب شيخ الطريقة ، بأكثر من نظرة ساخرة من  
عمامة الضخمة الحمراء ، ولحيته السكثة المغبرة . !

وهذه الطرق الصوفية بحالتها الراهنة ، هي التي نعلن عليها الحرب باسم  
الإسلام حتى نظهره منها ، لأنها بمثابة وصمة في جبينه ، وبمثابة صداع  
لا يغادر رأسه طرفة عين .

إن هذه الطرق الصوفية البلهاء ، فتحت في الشرق الإسلامي أسواقاً  
رائجة للدجل والشعوذة والتحايل ، والتغريب بأفهام الجهلة من المسلمين .  
وإن شيوخ هذه الطرق لأشبهه بساسة الأسواق ، بل أشبه  
بعضبات اللصوص المتفنتة في الإجرام على الطريقة الأمريكية - كما يقولون .  
وجرائم هذه الطرق من الكثرة بحيث لا تحصى ، وكلها جرائم تسيء  
إلى الإسلام أكبر إساءة ، وتشوه معانيه أكبر تشويه ، وتسهم بأكبر  
نصيب في انهيار المجتمع ، وفي تعطيل سنن الكون والحياة .

والطرق الصوفية في مصر والسودان ، وفي المشرق والمغرب  
الإسلاميين ، قائمة على أسس من الدجل والشعوذة ، والارتزاق والاحتراف ،  
وفوق هذه كلها ، السيطرة التامة على عقول تابعيها من السذج والجهلة البسطاء .

وهؤلاء التابعون أشبه بقطيع الغنم يخضع لعصا راعيه ، ويستجيب لإشاراتها ، إن حقاً وإن باطلاً ، وإن جداً وإن هزلاً ، ورعاة هؤلاء التابعين هم شيوخ الطرق الصوفية ، الذين يوهمون العامة بأنهم إنما يسرون دفة طريقهم بإلهام من الله ، وأنهم على صلة بالرسول ب تلقون منه التوجيه والإرشاد ، وعلى صلة بالاقطاب الأربعة المتصرفين في السكون ، وبصاحبة الشورى ( السيدة زينب ) التي يرجع إليها الأربعة المتصرفون في كل كبيرة وصغيرة ... !

إن لهذه الطرق الصوفية يدأ طولى لدى الاستعمار والحكم الأقطاعي ، المسيطرين على معظم الشعوب المسلمة .

وإذا جاز السكوت على هذه الطرق في الدول الإسلامية التي ليس أمرها بيدها ، فكيف يجوز السكوت عليها في الدول الإسلامية التي أصبح أمرها بيدها ، وفي مقدمتها باكستان وإيران ومصر . إن الطرق الصوفية تشيع الجهل والتأخر في مصر ، وليس لها من يد على مصر ، اللهم إلا منح شيخ مشايخها ، فاروقاً ، ملك مصر المنخوع شرف الانتساب إلى عترة الرسول عليه السلام .

والعجيب أن وزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الاجتماعية ، ففكرتا في يوم من الأيام في إصلاح الطرق الصوفية وتنظيمها ، وعقد كثير من الاجتماعات لهذا الشأن .

وكان هذه الطرق ذات شأن حتى تحاول الوزارتان المصريتان إصلاحها وتنظيمها ، وكان الأخرى بالمسؤولين في الوزارتين أن يوقنوا بأن هذه الطرق وباء يجب القضاء عليه قضاء مبرماً ، فيقتضى على الدجل والشعوذة ، والبطالة والتشرد ، والفوضى والجهل .. باسم الإسلام .



## الجماعات الدينية

الجماعات الدينية أصبحت في مصر والشرق تحتل لنفسها مكانا في المجتمع ، ولسنا بصدد تكييف هذا المكان ، لأننا نهدف إلى تكييف حال هذه الجماعات ، والرسالة التي تدعى أنها تؤيدها لخير الإسلام والمسلمين .

هناك نوع يجب أن نطلق عليه كلمة « جمعيات » ، لا جماعات ، وليس شرطاً أن نضيف إلى كلمة « جمعيات » كلمة « دينية » ، لأن هذا النوع يؤدي رسالة إنسانية محضة ، فمثلاً الجمعيات التي تنشئ المكتاتيب لتحفيظ القرآن ، والمعاهد المختلفة لتثقيف الفقراء ، والملاجئ لإيواء العجزة والمشردين ، والتي تنشئ المستوصفات والمستشفيات لعلاج العاجزين عن تكاليف العلاج ، والتي تعنى بدفن الموتى من الفقراء .

هذه الجمعيات الإنسانية التي ترعى البر بجميع ألوانه خارجة عن نطاق الجماعات الدينية التي نود مناقشتها الحساب ، وحسبها من التقدير لها ، أنها تؤدي واجبا إنسانيا نحو المجتمع الذي تعيش فيه .

ويخرج عن نطاق الجماعات التي نريدها ، الجماعات الإسلامية الحية ، لأن لها مناجاة واضحا يحقق مطالب الإسلام الصحيح ... هذه الجماعات القوية الحية ، منهاج دعوتها واضح في العمل على إعادة مكانة الإسلام ، حتى يكون كما رخصه الله للمسلمين دينا ودولة وقانونا وجهادا — لا كما يرضاه المسلمون لأنفسهم دينا تعبديا حسب .

أما محاسبتنا لهذه الجماعات الدينية ، فلأنها تمثل فكرة معينة ، معتبرة أن فكرتها هي الإسلام ، وتصر على هذا الاعتبار دون أن تتنازل عنه قيد شعرة واحدة .

وليس من اليسير لنا أن نحصر الجماعات الدينية التي تقصدها؛ والتي لا زالت قائمة في البلاد الإسلامية؛ حتى نضعها فوق بساط المناقشة واحدة واحدة.

وحسبنا أن نقدم صورة عن الجماعات التي تشغل حيزا من الفراغ في المجتمع المصري بأسره، ونعتقد أن الجماعات الدينية في البلاد الإسلامية لا تختلف عن جماعاتنا المصرية كثيرا، ولا فرق بينهما إلا في شيء من المظهر. ولسنا في حاجة أيضا إلى ذكر أمثلة معينة من هذه الجماعات الدينية، وحسبنا أن نشير إلى خصائص بعضها، فهناك مثلا جماعة دينية تدعى استهداف إحياء السنة المحمدية، وهذه لفظه لها بريقها ومظهرها لدى العامة، وهي في نفس الوقت لا تحاول تحديد السنن التي تريد إحياءها تهربا من الحساب، ومع هذا التهرب فقد استطاعت أن تخصص في سنن ثلاث أو أربع، وفي نفس الوقت من السنن التي لا ترتبط بأصول الشريعة في شيء.

هذه الجماعة تحرص على أن يكون أتباعها من ذوى اللحية المتدلية، والنزابة المرخاة، وأصبحت اللحية والنزابة من أخص خصائصها، وفي سبيل الحرص على هذين المظهرين، تكلفت تكلفا معقدا في الدعاية لهما، والتنديد بالمتخلفين عنهما، حتى كادت تخرجهم عن حظيرة الإسلام.

وقد دفع الغلو هذه الجماعة إلى اعتبار هذين المظهرين، كأنها أصلان من أصول الإسلام، وقد عزى بعض أتباعها انتصار المسلمين في بعض الغزوات إلى إرخاء النزابة، التي أوهمت المشركين بأن المقاتلين المسلمين ملائكة هبطوا من السماء.

ورغم أن الرسول لم يرخ الذنوبة إلا مرات معدودة ، إلا أن هذه الجماعة تعتبرها سنة مؤكدة لا يكمل إيمان المسلمين إلا بها ، وكأن محمدا قد انحصرت رسالته فيما كان يلبس وفيما كان يأكل ويشرب ، وكيف كان يمشى وينام ويجلس ... وكفى !

واللحية لم تكن إلا عرفا أقر الرسول العرب عليه ، كما أقر كثيرا من عاداتهم ، والتوصية بإعفائها لم يكن أمرا وجوبيا بالمعنى الذي تؤكد هذه الجماعة ، واللحية مع غيرها من المظاهر ، روعي في استحباب التمسك بها ، أو استحسان تركها ، مخالفة اليهود والنصارى والمجوس .  
ففي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ( ص ) قال :

« خالفوا المشركين ووفروا للحي وأحفوا الشوارب ،

وفي صحيح مسلم أن النبي قال :

« قصوا الشوارب وأرخوا للحي وخالفوا المجوس ،

وفي صحيح البخارى أن النبي ( ص ) قال :

« إن اليهود والنصارى لا يصبغون نخالفوهم ،

والأمر بإعفائها لم يكن إلا من قبل الذب ، وشأنها شأن كل المظاهر الشكلية التي لا يهتم بها الاسلام ، ولا يفرضها على أتباعه ، بل يتركها لأذواقهم ، وما تتطلبه بيناتهم وعصورهم .

وهذه الجماعة لا مظهر لها إلا اللحية والذنوبة . والمسلم الحقيقي هو الذى يتمسك بهذين المظهرين ، وأفرادها لا يعترفون بإسلام المستخف بهما ولا يعاشرونه ، ولا يصلون خلفه ، بل ربما اعتبر البعض منهم أن الله لا يقبل منه فرضا ولا نفلا ، ولا جهادا ولا توبة ولا صدقة .  
حتى في أدق الظروف ، وأحرج الأوقات ، لا تفوتها الدعاية لهذين المظهرين .

فحين اضطهدت الحكومة هيئة إسلامية كبرى ، قصد وفد من هذه  
الجماعة المسؤولين ، ليبارك هذا الإجراء ، ويتهم أفراد هذه الهيئة  
بالزندقة والمروق لأنهم يستخفون باللحي ، ولا يعفونها اتباعاً للسنة ،  
واقتراداً بالنبي . ولك أن تضحك أو تبكي ، فسيان في مصر الضحك  
والبكاء...!

ولهذه الجماعة اهتمام كبير ببعض الشكليات التي تعد من السناسف ،  
وهي أكثر من أن تحصر ، والمهم أنها لا تزيد الإسلام قدراً ، ولكنها  
في نظرها الإسلام كله .

في اليوم الذي تلى مصرع الشهيد ، حسن البناء ، كنت أصلي العصر  
في دار هذه الجماعة ، ولم أسلم حتى ناقشني جاري الحساب لأنني ... أهملت  
وضع إحدى يدي على الأخرى تحت الصدر ...!

ونظرت نظرة استخفاف إلى هذا الأحمق .. الذي لم يشغله أفدح الأحداث  
الإسلامية ، ولم يشغله أدب الوقوف بين يدي الله عز وجل عن إحدى  
الشكليات ، التي لا تمس جوهر الصلاة ...!

هذه الجماعة تتفنن في الدعاية لبعض المظاهر الشكلية التي أحاطت  
بالرسول في كل لحظة من لحظات حياته ، وتعتبر كل حركة وسكناتة ،  
وكل كلامه وضحكه ومداعبته نساءه ، وكل ما كان يلبسه أو يأكله أو  
يشربه أو يتعاطاه ، سنة يجب التمسك بها والاعتداد بقدرها .  
وليس لها حجة إلا منطق أعرج هزيل ، تلخصه دائماً في عبارة  
واحدة : هي أن الرسول فعل هذا ... ،

إذا أنشأت مسجداً — وكثيراً ما تهتم بإنشاء المساجد — لم تجوف  
مكان القبلة ، ووضعت درجات المنبر مطابقة لما كانت عليه أيام النبي ،

ولم تقم مثذنة كما لم تقم مثذنة أيام الرسول، وحرمت فرش المسجد بالبسط  
لأنها لم يفرش بها مسجد أيام الرسول... وما إلى ذلك من الهوس  
الديني الذي لا يقره غير البلهاء .

إذن فـلـم يَأكل أتباع هذه الجماعة ويشربون ويسكنون ، ويسيرون  
ويتعاملون ، ومظاهر حياتنا بعيدة كل البعد عن مظاهر الحياة في أيام  
الرسول ..؟؟

لم يركبون طائرات وقطراً ١ وترامات وسيارات ودراجات ، ولم  
يحملون ساعات ونظارات ..؟؟

اللهم إن دينك لأسمى من أن يكون سخرية هذه العقول المخرفة ،  
والأفكار الهزيلة ١..

o o o

وهذه جماعة أخرى تعتبر رسالتها الإسلام نفسه ، وأن المسلمين  
الذين لم يتشرفوا بالانتساب إليها ، ليسوا من الإسلام في شيء .

أما هدفها فهو الثورة الجارحة على الأضرحة وزاثيرها والمتوسلين بمن  
فيها ، وأما أساليبهم في ثورتهم هذه ، فهو السب واللعن ، والتكفير  
والطرد من رحمة الله عز وجل .

هم يعتبرون الأضرحة أصناماً تعبد من دون الله ، ويعتبرون زاثيرها  
ضمن عبدة الأوثان والأصنام ، ولم يقدر لهم إلى اليوم أن يرحموا  
ضريحاً ولو كان صاحبه من أولياء الله المتقين ، ولا ذنب له في جبل  
الجاهل ، ولا أن يرحموا زاثر ضريح ، ولو كان الجهل عذره ، وهو  
أحوج إلى التعليم والتثقيف والإقناع بالحجة والمنطق ، من السب  
والطعن ، والتكفير واللعن .

إن الوثنية كانت أول جبهة اعترضت طريق الإسلام ، وإن أشياعها كانوا أول كتبية أعلنت معاداة الإسلام — كما أعلنت الحرب السافرة عليه ، ومع هذا فلم يلجأ الإسلام إلى أساليب الطعن واللعن والسب والشتم ، وكان أسلوب الداعية صلوات الله عليه — يحقق دائماً قول الحق تبارك وتعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن . هذه الجماعة لا مظهر لها إلا السب واللعن والتكفير تصبه صبأ على زائرى الأضرحة ، أو على مؤيدى زيارة الأضرحة ، والتوسل وكرامات الأولياء ..!

وشأنها شأن الجماعات الهزيلة ، التى تحرص على البروز ، واحتلال مكان لها فى المجتمع بأى أسلوب كان ، أو بأى مظهر كان .

فالزنديق والملحد ، والفاجر والفساق ، والعرييد والسكير ، هؤلاء جميعاً ، أخف جريمة من زائر الأضرحة والمتوسل بها ، والمعترف بكرامات الأولياء .

وليس أقرب إلى ألسنة أتباع هذه الجماعة من لفظة الكفر ، يرمى بها زوار الأضرحة والمتوسلون بها ، حتى ولو كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقىمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت ، ولا يكاد يقنعهم قول الرسول عليه السلام فى الحديث الذى رواه النسائى .

ومن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم ، نحن لا نتمكر أن من الواجب أن يهذب زائرو الأضرحة ، وأن يقمهم الجهال ، أن التوجه بحج أن يكون إلى الله وحده : لأنه يملك الضر والنفع ، ولكن الذى نتمكره أن ننحصر مهمة هذه الجماعة فى الثورة على

زوار الأضرحة والمتوسلين بها ، والذي ننكره ونشدد في النكران ،  
 أن تستخرد هذه الجماعة ومن على شاكلتها — باسم الإسلام — بوقا لدولة من  
 الدول ، أيا كانت هذه الدولة ، لاسمها إذا كانت هذه الدولة تسيطر  
 عليها حكوماتها التي تتمثل في البيت المالک ، ولا ترعى الله ولا للشعب  
 حقاً ، ويعيش أمراؤها عيشة الترف والبذخ ، ويبعثون نصف ميزانية  
 الدولة على الرقصات هنا وهناك ، ويصرف نصف الميزانية الآخر في  
 تهية حياة منعمة لهم ... في الدولة التي كتب عليها وعلى شعبها الشقاء إلى  
 الأبد ...

o o o

وهناك جماعات أخرى تشغل خيراً من الفراغ ، منها ما يصل إلى  
 درجة الأروستقراطية ، وليست موقلاً ومنتدى إلا لذوى المناصب  
 الملحوظة ، ولا مهمة لهم إلا حضور الحفلات التي تقام من وقت لآخر ،  
 للبرزين من ضيوف العالم الإسلامي ، وإلا صياغة الاحتجاجات  
 والاستنكارات ، كما طابت لسطوة الاستعمار أن تمتد إلى شعب مسلم مستعبد .  
 ومنها ما يصل إلى درجة الهبل المصطنع ، للدجل والشعوذة من وراء  
 هذا الهبل المصطنع ، باسم الفقر والفقراء ، والمسكنة والذلة والخشوع ،  
 وعقولنا أقل من أن تكيف مذهب هذه الجماعة : ومنها ما يصل إلى  
 درجة الهوس الذي لا تطبيقه إلا عقول المعتمدين ، ولا زال في القاهرة  
 جماعة تطلق على نفسها : حتى شبكة الشوكة ، وتقيم هذه الجماعة دعوتها  
 على أساس ، أن كل مصيبة بذنب ، حتى شبكة الشوكة بذنب ، ورئيسها  
 منذ عشرات السنين يكافح من أجل نشر فكرته ، ولم تتخط بعد جدران  
 الزاوية التي اتخذها مركزاً عاماً لدعوته .  
 ولك أن تبكى معنا على الإسلام المهمل في هذه الجماعات ، ولك أن

أن تضحك أيضاً ، إذا كنت تؤمن بالحكمة التي تقول :  
« شر البلاء ما يضحك » .

\*\*\*

إن جريمة هذه الجماعات لا تنحصر فحسب — في أنها تشغل حيزاً من الفراغ في المجتمع الإسلامي ، وليست أهلاً له ، وتسيطر على جزء من الرأي العام الإسلامي ، وتجعله في معزل عن الإسلام الصحيح .

ولكن لها جريمة أشد ، وهي أنها تعمل على تمزيق وحدة المسلمين ، حين تجرهم إلى الجدل الممل والنقاش المتعب ، وعلى تشويه سمعة الإسلام حين تثرثر في القشور والشكليات ، متجاهلة لبابه وحقائقه ومعانيه السامية .

ويظهر أنها أصبحت حرفة لاغنى لاتباعها عنها ، ومرصداً لا تهدأ أعصابهم بدونه .



اوه سام...!

## أوهام...!

إن المسلمين يعيشون على أوهام لا تمت إلى الواقع الصحيح بصلة ،  
وخطر هذه الأوهام من الفداحة بحيث لا يحسن السكوت عليه .

إذا خطبت في المسلمين حائناً إياهم على الجهاد والكفاح والعمل  
المتواصل ، من أجل الإسلام والمسلمين وأوطان المسلمين ، فلن يصل  
حديثك إلى قلوبهم ، ولن يستقر في أذهانهم ، لأن بجانبك جملة متدينين ،  
ودجاجة صوفيين ، صبوا في أسماعهم أن شفاعته محمد سوف لا تدع النار  
تمس جسد مسلم !..

والكثرة الساحقة من المسلمين ، يؤمنون بأن عيسى سوف ينزل في آخر  
الزمان ليكسر الصليب ، ويذبح الخنزير ، وينشر شريعة محمد ، وأن  
المسيح الدجال ، سوف يظهر ليضلل عقائد الناس ، ويحولم عن سبيل  
الخير إلى طريق الشر ، ويعيد في الأرض فساداً ، وأن المهدي المنتظر ،  
سوف يظهر هو الآخر مؤيداً بالخوارق كالمسيح الدجال ، ولكنه سوف  
يملا الأرض بعده عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً ، وصلاًحاً بعد أن عمها  
الفساد ، وخيراً بعد أن فاضت شراً .

وحسب المسلمين خطراً من هذه الأوهام ، انشغال أذهانهم بها ،  
وصرفهم عن العمل ، وتعلقهم بخيالات مبتكرة ، وضلالات مصنوعة .

• • •

### الشفاعة :

من الأوهام التي يعلق عليها البسطاء أكبر الآمال الشفاعة يوم القيامة ،

أى شفاعة الرسول (ص) فى المذنبين جميعهم ، حتى ينجوا جميعاً من العقاب .

والذى صنع هذا الوهم هوس المتوسمين ، أولئك الذين لا يرضون بمحمد رسولا بشراً ككل الرسل البشر ؛ وإنما يحرصون على أن يكون له امتيازات مشرقة لم تكن لغيره من إخوانه عليهم السلام ، وهؤلاء المتوسسون يتقنون حفظ الأحاديث الموضوعية ، التى تعاون الزنادقة مع الشيعة فى صياغتها ، أما الزنادقة فهمتهم هدم الإسلام ، وأما الشيعة فيهدفون انتزاع عواطف المسلمين عن طريق هذا الهوس .

ولا يحاول هؤلاء المتوسسون أن يقنعوا بأن محمداً عليه الصلاة والسلام كان رسولا ككل الرسل ؛ وحتى لو نطق القرآن الكريم بالأدلة القاطعة :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ١٤٤ — آل عمران .  
« قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم »  
٩ — الأحقاف

ولا يحاول هؤلاء المتوسسون أن يتنازلوا عن تمييز محمد على سائر الأنبياء ، حتى ولو كان محمد (ص) نفسه أبى أن يخير على إخوانه :

عن أبى سعيد الخدرى قال : بينا رسول الله (ص) جالس ، جاء يهودى ، فقال : يا أبا القاسم ! ضرب وجهى رجل من أصحابك ، فقال من ؟ قال : رجل من الأنصار . قال : دعوه ، فقال : أضربته ؟ قال : سمعته بالسوق يحلف . والذى اصطفى موسى على البشر ! قلت : أى خبيث ! على محمد (ص) ؟ فأخذتني غضبة ضربت وجهه . فقال النبى (ص) : « لا تخيروا بين الأنبياء . فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول

من تشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ،  
فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى ، البخارى .  
وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : لا ينبغي لعبد أن يقول أنا  
خير من يونس بن متى ( البخارى ) .

إن محمداً — صلوات الله وسلامه عليه ، لم يرض لنفسه الغلو الذى  
صاغته عقول المتوسمين ، الذين يصرون على أن محمداً خلق وآدم بين  
الروح والجسد ، وأن السموات والأرض والإنس والجن والملائكة  
والطير والوحوش ، والجبال والبحار ، والشمس وسائر الكواكب ،  
خلقت من نوره ، ولولاه ما خلق الله شيئاً... وما إلى ذلك من التخريف  
الذى لا تستسيغه إلا عقول البهلاء .

أما شفاعته يوم القيامة ، فقد تعدت ما لا يقبله عقل ، ولا يقره منطق ،  
إن المتوسمين يوهمون أنفسهم والسذج معهم أن شفاعته محمد صلوات الله  
وسلامه عليه ، سوف تنال العصاة والمجرمين ، وأن من صلى عليه  
ولو مرة واحدة ، حرم الله جسده على النار..!

على ضوء هذا الوهم ، يسرق السارق ويذنى الزانى ، ويفجر الفاجر ،  
ويستبد الظالم ، لأن أملهم كبير فى شفاعته النبي ..!

وما دام الأمر كذلك ، فليس هناك داع إلى كتاب الله ، ولا سنة  
نبيه ، ولا إلى هذا التشريع الإسلامى ، وليس هناك داع إلى قسم الوعد  
والإرشاد بالأزهر فى مصر وفى غير مصر ، وليس هناك داع إلى  
الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة ولا الحج ، ولا إلى المشل العليا ،  
والأخلاق السامية .

إن فى القرآن الكريم من الأدلة ما لا يحتاج إلى جدل ، مما يقضى

على هذا الوهم الأخرق ، ويدحض تخريف الذين يحرصون على الفسق والعصيان والفجور ، موهمين السذج بأن شفاعة محمد سوف تنالهم يوم القيامة .

ويا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ، من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون ، ٢٥٤ - البقرة وقد يشور علينا هؤلاء الحق ويقولون : كيف تنكر الشفاعة ، وهي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة اتفق على كثير منها البخارى ومسلم .

ونحن نقرهم على الشفاعة التي أوردتها البخارى ومسلم متفقين عليها ، وهما لم يوردا عبارة واحدة ، يفهم منها أن الشفاعة ستخلص العصابة والمذنبين من حساب الله وعقابه .

والشفاعة التي اتفق على أحاديثها البخارى ومسلم ، خاصة بناحية واحدة ، وهي توسله إلى الله أن يخلص الناس من هول الموقف الذي يذهل المرصعة عما أروضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى .

ففي حديث أنس بن مالك : يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ....

وفي حديث أبي هريرة : يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعون الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ...

وفي هذين الحديثين ، أن الناس قصدوا الأنبياء ، ولم يستجب لهم إلا محمد (ص) ، وفي الحديث الثاني منهما ، أن الله قال للنبي : أدخل من

أمتك من لا حساب عليهم من الياب الأيمن من الجنة ، ويجب أن ندقق النظر في هذه العبارة ، حتى يتأكد لدى هؤلاء الواهين ، أن العصاة الذين ماتوا مصريين على عصيانهم لن تنالهم شفاعة ولا غيرها .  
 وليدققوا النظر معنا في هذا الحديث ، ليزدادوا إيماناً ببطلان وهمهم ... والحديث رواه الشيخان أيضاً .

عن أبي هريرة قال : قام رسوله الله (ص) حين أنزل الله عز وجل — وأنذر عشيرتك الأقرين — قال : « يا معشر قريش : — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبدمناف : لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمه رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ! سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً . »

o o o

### المسحور :

وهذا وهم آخر ، فالمسلون — إلا أقلهم — يعتبرون نزول عيسى آخر الزمان جزءاً من عقيدتهم ، يجب التصديق به ، تصديقاً لا يقل عن تصديقهم برسالة محمد — صلوات الله وسلامه عليه .

وحجة القائلين بهذا الرأي قوله تعالى في سورة آل عمران :

« إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلیّ ومطهرك من الذين

كفروا ... » o o

وليس في الآية دليل على نزول عيسى آخر الزمان بشريعة محمد صلوات الله عليه ، بل وليس فيها دليل قطعي على أن عيسى لم يزل حياً

في السماء كما يبدعون . وحجتهم كثير من الأحاديث التي روى البخاري  
ومسلم بعضها ، ولكن هذه الأحاديث لم تزد على كونها آحاداً ، وهذا  
أمر غيبي يحتاج إلى الخبر اليقين ، وليس في الموضوع حديث متواتر  
واحد ...

ولو سلطنا جدلاً بهذه الأحاديث ، لحق لنا أن نفسر نزول عيسى  
آخر الزمان بنشر شريعة التسامح والعزوف عن الدنيا . والروحانية  
الصافية ، التي كانت تسود شريعته ، وذلك بعد أن تكون الأرض قد  
أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وبعد أن تكون  
الماديات قد طغت طغياناً لا يدع مجالاً للروحانية الصافية .

والمنطق لا يقر عيسى آخر الزمان بشريعة محمد صلوات الله وسلامه  
عليه ، لأنه إما أن ينزل رسولا ، وهذا محال لأن محمداً خاتم النبيين  
بنص القرآن ، وإما أن ينزل إنساناً عادياً ، وهذا يحتم سلبه صفة النبوة  
والرسالة ، وليس بمعقول أن ينزل الله من قدره وقد رفع مكاته .

أما المسحح الرجال ، فأمره عجب ، هذا الذي قيل عنه : إنه ينزل

ليفسد في الأرض ، ويصب الزبغ في العقول حتى تضل ، والله عز وجل  
يمنحه القدرة على إحداث الخوارق ، ليكون أقدر على إضلال الناس ،  
وصدهم عن سبيل الهداية والرشاد .

وليس في القرآن الكريم آية واحدة تشير من قريب أو بعيد إلى  
وجود الدجال في آخر الزمان ، وهناك أحاديث رواها البخاري ومسلم  
وغيرهما ، وحكمها هو نفس حكم أحاديث نزول عيسى المسيح عليه  
السلام ، فكلها آحاد تتعلق بأمر غيبي يحتاج إلى خبر يقين متواتر .  
والمنطق لا يقر أن الله في حاجة إلى الاستعانة بدجال ، يؤيده بالخوارق

ليضل عباده ، ويسلك بهم سبيل الغواية والزيغ والمروق .  
 ولو اعتبرنا صحة هذه الأحاديث الواردة في الدجال ، لحق لنا أن  
 نفسر الدجال بالخرافات والأباطيل التي تملأ الدنيا في نهايتها ، بعد أن  
 ينصرف الناس عن الشرائع ، ويتلاشى اهتمامهم بها .  
 وعلى كل فالواجب علينا أن ندقق النظر في الأحاديث النبوية التي  
 تحدثت عن قتن آخر الزمان ، فإن معظمها من وضع الزنادقة الذين هدفوا  
 إلى تبييض همم المسلمين ، وبث اليأس في نفوسهم ، وإضعاف الأمل في  
 العمل على تماسك دولتهم ، وبلوغها العزة التي أرادها الله لها .

• • •

### المهدي المنتظر :

وهذا وهم ثالث يعتبر من تسج الخيال ، فقصة المهدي المنتظر قبل  
 كل شيء ... لم تشر إليها كلمة من آية واحدة من كتاب الله ، ولم يعتد  
 البخاري ومسلم أصحاب كتب الحديث بحديث واحد منها ، وقد بلغت في غيرهما  
 زهاء خمسين حديثاً . قال ابن حجر إنه لم يثبت لديه واحد منها . وأعتقد  
 أن الخيال السياسي هو الذي أشاع فكرة المهدي المنتظر ، الإمام المعصوم  
 الذي سيكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً ونوراً .

والدول التي حكمت أمة المسلمين ، لم تسكد تخلو منها دولة واحدة من  
 اعتناق فكرة المهدي ، لاسيما الدولة الفاطمية والعباسية ، والشيعية  
 الذين حصروها في البيت العلوي ، حتى الدولة الأموية لم تتنازل عن  
 فكرة المهدي ... وزعم بعض هذه الدول أن مهديها المنتظر لم يمت ، وأنه  
 سيظل حياً إلى أن يعود في آخر الزمان ، لاسيما الكيسانية التي زعمت



أن مهديها : محمد بن الحنفية لم يمت ، وإنما هو بجبل رضوى بالحجاز على سبع مراحل من المدينة .

وكان من الضروري أن يركب فكرة المهدي الفرس ... الذين كان كل همهم أن يصبغوا الإسلام بصبغة الخرافات والأباطيل ، وكذلك الباطنية الذين كان كل همهم هدم الإسلام من أساسه .

وكان من الضروري أن يقوم كثير من المذاهب الإلحادية الهدامة على نظرية المهدي الخيالية ، وفي مقدمتها القادسية ، والبهائية ، كما دفعت نظرية المهدي بعض المتوسمين من مدعى الولاية إلى إثارة الفتن التي لم يزل أثرها باقياً إلى اليوم .

وأكبر دليل على كذب هذه النظرية وابتداعها من نسج الخيال ، أنه ظهر إلى اليوم عشرات ، كل منهم ادعى المهدي ، والأحاديث التي وردت نصت على أنه سيظهر مهدي واحد يؤيده الله بالحوارق .

° ° °

ظهرت فكرة المهدي بالسودان أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ولم تتلاش إلا بعد أن سفكت دماء ودماء ، وشاعت قبلها في أواسط القرن الثالث عشر الهجري في المغرب ، وادعاه السيد محمد المهدي السنوسي ، وعلى ضوء هذه النظرية ، ظهر ( الباب ) في إيران ، وبعده ميرزا حسين الملقب ببهاء الله ، الذي ادعى الألوهية ، وظهر أحمد القادياني بالهند ، واستغل الجميع سداجة الناس ، فأولوا القرآن وأخرجوه عن معانيه الحقيقية ، واستعانوا بأفكار الزنادقة من المجوس وغيرهم .

ولقد تأثر الصوفية بهذه النظرية ، فراحوا ينشرون فكرة القطب ، والأبدال والأوتاد ، ومن إليهم ، ممن لهم القدرة على التنقل وعلى إحداث الحوارق ، والكشف عن المغيبات ، وجعلوا منهم دولة تتحكم في

مصائر المسلمين وأحوالهم ، حتى بلغ السفه بهم إلى أن الأقطاب هم الذين  
ينصبون الحاكم ويختارونه قبل أن ينتخبه الشعب .

• • •

إن خطر هذه الأوهام من الفداحة بمكان ، فالشفاعة توهم السذاج أن  
العمل من أجل الإسلام ، والاستقامة في الحياة ، والجهاد من  
أجل الوطن الإسلامي ، ليس ضرورياً بالنسبة لهم ، مادامت الدنيا  
قانية ، وشفاعة محمد سوف تنقذهم من الحساب والعقاب في الآخرة ،  
وتستقر بهم في جنة عرضها السموات والأرض .

ونزول عيسى ، وظهور المسيح الدجال ، والمهدى المنتظر ، كل هذه  
الأوهام تبعث المسلمين على اليأس ، وعقد الأمل في نزول المسيح  
والمهدى المنتظر ..!

ما أجدر بعقلاء المسلمين لو أنهم حاربوا هذه الأوهام ، واقتلعوا  
جنورها من أفكار العامة ، حتى يدركوا أنهم مسئولون عن الإسلام ديناً  
ودولة ومصحفاً وسيفاً ، ومسئولون عن المسلمين وأوطان المسلمين  
واقصاديات المسلمين ، وحتى يعيشوا في الواقع لافي الخيال والأوهام .

في ميدان الاصطلاح

## الإصلاح الذي ننشده

تستهوى كلبة الإصلاح هذه كثيراً من ذوى الأهواء ، ولذلك يزجون بها في كل ما هب ودب دون وعى أو إدراك .

حتى هؤلاء الذين تجردوا من الأخلاق ، فأخذوا يروجون للاختلاط والسفور ، وإذكاء عواطف الحب بين الشباب والشباب ، وتعويد الفتيات الرقص في المراحل التعليمية ، وتيسير المجال لكل ألوان اللهو والترف ، هؤلاء ينادون بهذه المهازل بحجة الإصلاح ، ضارين صفحاً عن الأخلاق ، لأنها في نظرهم من مخلفات القرون المظلمة .

كأن الإصلاح في نظرهم ليس إلا الإباحية المطلقة ، والاختلاط المزرى ، والسفور البذى ، على حساب الأخلاق والأعراض والشرف والفضيلة ...

كتب أحد الكتاب المنحليين في إحدى الصحف ، مندداً بمسلك بوليس الآداب بالقاهرة يقول :

« إنه لن يطمئن على أخلاق هذا البلد ، إلا إذا استطاع الشاب أن يقبل حبيبتة في عرض الشارع ، دون أن يخشى أعين بوليس الآداب . »  
وعلى هذه الحماقة والسفاهة يقيم أولئك الناس أسس الإصلاح الذي ينشدهونه ، وكأن الإصلاح لن يكون إصلاحاً إلا إذا حرصنا الفتيات على السفور والفتيان على المجون ، وكليهما على الاختلاط وأكثر من الاختلاط .

نحن لانطالب المرأة بأن تحتفي في عقر بيتها حتى لا ترى الدنيا  
ولا الدنيا تراها ، ولا نطالبها بأن تظل عالة على من يتنكرون لها من  
نوى قرباها ، لأن الإسلام يعدها مخلوقاً له كيانه ، تباشر حياتها بالحالة  
التي ترضاها وتطمئن إليها ، مادام شرفها مصوناً وكرامتها موفورة .

لن نرضى الإصلاح الذي يقوم على أساس من المجون الفاسد  
والانحلال الخلقي ، والإباحية الرخيصة ، لن نرضى هذا الإصلاح الذي  
يحقق الأهواء العمياء ، والشهوات البذيئة ، ولكنا نرضى الإصلاح  
الذي ينهض بالمجتمع ، ويسمو بالأفكار ، ويرقى بالشعب إلى أبلغ  
درجات الرقي والعظمة .

إن الإصلاح الذي نريده ، يجب أن يقوم على أساسين : الأساس  
الأول الدين ، والآخر المجتمع .

والإصلاحان الديني والاجتماعي مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، ويجب  
أن يظلا مرتبطين هذا الارتباط الوثيق . فن لا يصلح دينه لا يصلح  
مجتمعه ، ومن فسد مجتمعه فلا قيمة لإصلاح دينه .

الإصلاح الديني يمهّد السبيل إلى الإصلاح الاجتماعي ، والإصلاح  
الاجتماعي ، يهيء الحياة الصحيحة لمجتمع ناهض سليم .

## الإصلاح الديني

الإصلاح الديني لا يقصد به العبث بمقدسات التشريع الإسلامي ، كما يتطرق إلى أذهان كثير من جهات التزم والجمود ، واسكن يقصد به إصلاح العقول حتى تفقه دين الله عز وجل .

فالإسلام كما قلنا جاء صافياً مرناً ، يحقق سعادة الإنسانية وخير البشرية ، ولم يبلغ المسلمون الأولون أعلى درجات العزة والرفعة ، إلا لأنهم كانوا يفهمون الإسلام الخالص المصني ، ولم ينحط المسلمون في القرون الأخيرة إلى أسفل درجات الضعف والذلة ، إلا لأنهم لم يحاولوا أن يفهموا دينهم كما ينبغي أن يفهم .

ومصادر الإسلام ، هي القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والفقهاء الإسلاميين ، ومحاولات الإصلاح ، هي أن يفسر القرآن تفسيراً صالحاً يليق بكتاب الله عز وجل ، وأن تخلص الأحاديث النبوية مما خالطها من الموضوعات التي لا حصر لها ، وأن ينظم الفقهاء الإسلاميين تنظيمًا يسير تطور الحياة .

وهناك جانبان آخران مهمان ، أولهما ، المعاني الإسلامية المشوهة ، فيجب تصفيتها ، والمسجد الذي يعتبر برلمان المسلمين ، فيجب أن يهيئ حتى يليق بما هو أهل له ، وينظم حتى يعد للحياة جميلة مسلمات يحقق لدينه ولنفسه ولوطنه ولأمته الخير .

هذا الاتجاه لا ينكره إلا جهات التزم التي تسمى بتزمتها إلى الإسلام ، وهي تحسب أنها تحسن صنعاً .

## لماذا أنزل القرآن؟

أمام المساجد الكبرى يتكديس حفظ القرآن على الأبواب، عارضين على زوار الأضرحة، بعض سور القرآن بأبخس الأثمان، وأيام الجمع والمواسم، تزدحم المقابر بهؤلاء القراء، ليستجيبوا - في نظير قروش - لرغبات المترحمين على موتاهم بتلاوة بعض السور، وفي الريف يستغل القرآن أسوأ استغلال في كتابة التعاويذ والأحجية، كما يعلق على الصدور قصد البركة، ولكتاب الأحجية فلسفة في تسخير القرآن يعجز عن إدراكها فلاسفة اليونان الأقدمون...

إن الدجالين المشعوذين في الريف، لا زالوا يعالجون بالقرآن شتى الأمراض، والجهلة من المسلمين مضطرون إلى الانسياق وراء عاطفتهم، تاركين سنة الله في الطب، ولو حاولت مناقشة هؤلاء المعوقين لسنة الله، والواضعين كتاب الله موضع الحرج. أجاوبك بقوله تعالى:

« ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ٨٢ - الإسراء

ولهم عذره ، فإن غباوتهم قد حالت بينهم وبين أن يفقهوا أن الشفاء المشار إليه ، هو الشفاء من الجهل والمروق والعناد ، وغيرها من الأمراض المتركرة في الصدور ، كما وضحته الآية الأخرى :

« يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور

وهدى ورحمة للمؤمنين ، ٥٧ - يونس

إن العشاق والواهين في الحب ، والراغبين في التفرقة ، والساعين في الشر ... ليجدون عند كتاب الاحجية ما يحقق رغباتهم ، بل إن طلاب

الشفاء من الأمراض المستعصية ، وهم في الغالب من السذج الجبهة ،  
ليس لهم ملجأ في الريف الاكتاب الأحجية ، الذين يأخذون من القرآن  
ما شاءوا لمن شاءوا ! .. !

بل إن من المشفقين من يواظب على قراءة سورة الواقعة في كل صباح  
لتجلب له الرزق ، وعلى سورة الملك لتدفع عنه عذاب القبر ، وعلى سورة  
يس ، ليرحم الله بها موتاه ، وعلى سورة الضحى ليجمع الله بينه وبين  
شمل الغائب عنه ...

وكثيراً ما قرأت في كتب المخرفين ، أن على من يرغب في شراء  
البطيخ أن يتلو قوله تعالى :

« إن البقر تشابه علينا ، وإنا إن شاء الله لمهتدون ،

وإذا أراد قطعها تلا قوله تعالى :

« فذبحوها وما كادوا يفعلون ،

وقرأت أيضاً في كتب هؤلاء المخرفين ، أن الانسان إذا ألمَّ به ألم  
فعلية أن يتلو قوله تعالى : « وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع  
العليم ، يزول ألمه ، وأن من أراد أن يبعد ثقيلاً عن مجلسه فعلية بتلاوة  
قوله تعالى :

« إذا زلزلت الأرض زلزالها مع تكرار كلمة « أشتاناً ، وأن من  
أراد أن يختق عن عين أحد من الناس لا يرغب في لقاءه ، فعلية بتلاوة  
قوله تعالى :

« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشيناهم فهم  
لا يبصرون . .



وقد شكوت لأحد الأصدقاء أرقاً يلازمى ساعات من الليل ، فأوصاني  
بتلاوة قوله تعالى : وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود .. !!  
أرأيت معى كيف يوضع كتاب الله هذا الموضع غير الكريم ، كأنه  
لم ينزل إلا للتبرك به ، وليكتب أحجبة وتعاويد - وليكون مادة سهلة  
للدجل والشعوذة ؟

\*\*\*

إن أهداف كتاب الله عز وجل ، تكاد تلتقى عند هدف واحد ، هو  
هداية الناس ، وإخراجهم من ظلمات الجهالة ، إلى نور المعرفة ، ومن  
الحياة التعسة إلى الحياة الطيبة المستقرة :  
« ... كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراطٍ العزيز الحميد ، ١ - إبراهيم  
« هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، ٢٠ - الجاثية  
« إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم .. ٩ - الاسراء  
« إذن فلم ينزل القرآن لتجعله أحجبة وتعاويد من الحسد ، ولم ينزل  
للتبرك بآياته ، وتتخذ من سورته وسيلة لجلب الرزق ، ودفع الشر ،  
وتحقيق رغبات العاشقين والوالهين في الحب ...  
« ولم ينزل القرآن ليتغنى به القراء في الجموع الحاشدة ، حتى يجتذبوا  
الصيحات والآهات من حناجر الجهلة المستمعين ، ويتلاشى في صخبهم  
الفقه والتدبر المطلوبان من القارىء والمستمع على السواء .  
« إن كتاب الله صريح في وجوب الاستماع بالأذن ، والإنصات بالقلب  
حين يتلى كتاب الله ، « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم

ترحمون ، ومع هذا فلم يزل مجلس القرآن مجالاً للصخب والتهريج في  
الريف والحضر ، حتى في أكبر مساجد العواصم الاسلامية لم يتمكن  
المسؤولون إلى اليوم ، من أن يضعوا حداً لعبث القارئ والمستمعين معاً .  
ويعلم الله أن بعض حفلات الغناء كثيراً ما تكون أكثر وقاراً ، من  
بعض مجالس القرآن ، في مساجد الامام الحسين ، والامام الشافعي ،  
والازهر والسيدة زينب بالقاهرة . . . !  
إن هذا العبث بمد القارىء بقسط وافر من الغرور والتنعطج ، فتراه  
وقد استهواه تهريج المستمعين ، يعتمد إلى الإطالة ساعة وساعتين ، حتى  
ينفر المسلمين من كتاب الله عز وجل . . !

### مع تفاسير القرآن :

إن هناك مئات التفاسير للقرآن ، منها ما هو موجز إيجازاً لا يفيد  
القارىء منه شيئاً له أهميته ، ومنها ما هو مسهب إسهاباً يزيد القارىء  
اضطراباً في أفكاره ومعلوماته .

ولم يكده يوجد إلى اليوم التفسير اللائق بكتاب الله عز وجل ، إذا  
استثنينا تفسير جزء عم ، للإمام الشيخ محمد عبده ، وتفسير المنار للسيد  
رشيد رضا ، وتفسير ابن كثير .

وليس معنى هذا أننا نحط من قدر كل ما بين أيدينا من تفاسير  
موجزة أو مسهبة ، لأن لبعضها أقدارها التي لا نستطيع إنكارها ،  
ولا نقوى على جحودها .

فالذين أوجزوا في هذا البعض ، إنما اعتبروا تفسيرهم توضيحاً  
لما أبهم من ألفاظ القرآن وعباراته ، ولهذا الناحية قدرها . والذين  
أسهبوا ، إنما أرادوا أن يوسعوا مدارك المسلمين بشتى العلوم التي زحموا  
بها تفسيرهم ، ولهذا الناحية قدرها أيضاً .

وبذلك أصبح النوع الأول أشبه بقاموس للغة ، كما أصبح النوع الآخر مرجعاً للباحثين والمطلعين ، وإذا كنا في حاجة إلى مثل هذين النوعين ، فإن حاجتنا أكبر إلى التفسير الذى تسهل تلاوته على الإنسان ، كما تسهل عليه تلاوة القرآن تماماً ، ويستطيع إذا ما قرأ هذا التفسير ، أن يلم بمعانيه الحية ، وتوجيهاته الدقيقة ، وعظاته البالغة ، وأسرار إعجازه وبلاغته .

ولن يتوفر هذا التفسير فى التفاسير المقتضية ، لأنها أضيقت من أن تستوعب معانى القرآن ، وتوجيهاته وعظاته وأسرار بلاغته .

ولن يتوفر هذا فى التفاسير المسهية ، لأنها فى أغلب الأحيان تضطر إلى الحشو الممل ، والجدل المتعب ، والتكرار المشوه ، وكثيراً ما تصيد الاسرائيليات لتشوق بها القارىء وتجذبها إليها .

ولا ريب فى أن هذه كلها كفيلة بأن تصعق معانى القرآن العظيمة ، لتتلاشى مع دخان ضوضائها ، وبأن ترهق القارىء حتى يضطر إلى الزهد فى هذا اللون من التفسير .

والحشو فى التفاسير المسهية هو علة العلل ، وأكثر ما يكون هذا الحشو فى المغيبات التى استأثر بها علم الله تعالى وحده ، وفى القصص الذى لم يهدف إلا إلى العبرة والعظة لحسب .

وبينما نرى القرآن يُجتمَل هادفاً إلى الإيجاز ، ومحاولاً أن يرتقى بالعقول عن الحشو والإسفاف ، نرى المفسرين يحشرون أفقوهم تنطعاً ، متصنعين الخبرة الواسعة والعلم الغزير .

فمثلاً يقول الله تعالى فى سورة البقرة ، ألم تر إلى الذين خرجوا من

ديارهم وهم ألاف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم . . . ،  
وقصد من كلمة «ألاف» الكثرة ، دون أن يحدد العدد ، حيث  
لاداعي لهذا التحديد ، إذ العبرة من القصة تأديب الله لهم ، ولكن  
المفسرين لم يشاءوا أن يقفوا عند هذه البلاغة ، فراحوا يدعون أن  
عددهم كان خمسين ألفاً ، وستين ألفاً . . . حتى يشغلوا القارىء بهذا العدد  
عن موضع العبرة من القصة .

وفي سورة يوسف : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا  
فيه من الزاهدين ، قصد القرآن من « دراهم معدودة » القلة ، دون أن  
يحدد العدد ، حيث لاداعي لهذا التحديد ، إذ العبرة من الآية ضالة الثمن  
وزهد الباعين في سيدنا يوسف ، ولكن المفسرين راحوا يتحدثون عن  
الثن الذي يبيع به يوسف ، فمن قائل سبعة دراهم ، ومن قائل تسعة  
دراهم . . الخ ، ليحيدوا بالقارىء عن موضع العبرة في الآية الكريمة .

وفي سورة الكهف : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون  
خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ،  
قل ربني أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل » ، تحدث المفسرون أيضاً محاولين  
تحديد عدد أهل الكهف ، رغم قوله تعالى « قل ربني أعلم بعدتهم » .

وفي سورة النمل : « ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبيل لهم بها ،  
قصدت الآية من « بجنود لا قبل لهم بها » الكثرة المطلقة التي لا تحصى  
ولا تعد ، ومع هذا فلم يستطع المفسرون الصبر عن محاولة تحديد عدد  
الجنود ، وحصرها في الألاف والمئات .

وفي سورة القصص : « وآتيناها من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء

بالعصبية أولى القوة، قصدت الآية الكريمة ، الكثرة المطلقة أيضاً  
لكنوز قارون بدرجة أن مفاتيح الخزان يعجز عن حملها الجماعة الأقوياء ،  
أما المفسرون فقد أخذوا يعدون هذه الكنوز ، ويذكرون أن مفاتيحها  
كانت تحملها عشرات الجمال ، غير عابئين ببلاغة القرآن في الإجمال  
والإيجاز ، وصرف الأذهان إلى موضع العظة من القصة .

° ° °

أما الحشو الممل في القصص ، فهو بما لا طاقة للعقول والأذهان به ،  
فإن هدف القصة لا يتعدى العبرة والعظة ، وما كرر بعض القصص في  
القرآن إلا لتستقر العظة والعبرة في الأذهان .  
ولكن المفسرين أبوا إلا أن يحشوا هذه القصص ، وأسرفوا في حشوها  
وجعلوا منها مجرد قصص للتسلية وقتل الوقت ، فأخرجوها عن نطاق  
العظة والعبرة ، وهذه المعلومات التي حشوا بها القصص القرآني ، لم  
يستمدوها إلا من الكتب الإسرائيلية ، بل ومن روايات اليهود الذين  
أسلبوا ليكيدوا للإسلام بدس المعلومات المختلفة .  
والكتب الإسرائيلية لا يمكن الاطمئنان إليها ، ولا يمكن الاستعانة  
بها في تفسير القصص القرآني ، الذي جاء موجزاً ليكون أبلغ في توجيه  
الأذهان إلى العظة والعبرة وحدهما .

كما لا يمكن بحال من الأحوال الاطمئنان إلى اليهود الذين دخلوا  
الإسلام ليتفنوا التآمر عليه ، من أمثال وهب بن منبه ، وكعب الأحبار  
وعبد الله بن سلام ، والتاريخ الصحيح لا يجهل يد كعب الأحبار ، في  
اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولا استعمال دهائه في السكيد للإسلام  
في عصر عثمان .

ولسنا في مجال سرد هذا الحشو الممل الذي استوعبه المفسرون ، حين

تعرضوا لتفسير القصص القرآني ، لأنه أضخم من أن نسرده هنا ، لأنهم لم يرحموا قصة واحدة من حشوههم إياها بالإسرائيليات وغيرها ، ولم يدعوا حتى شوها جمالها وطمسوا بلاغتها .

ففي قصة نوح ، أوجز القرآن فقال : **وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ، ولكن المفسرين لم يقنعوا بهذا الإيجاز البلاغي ، فراحوا يعدون الأصناف التي حملتها السفينة من شتى الحيوانات والطيور .**

والقرآن لم يشر إلى الوقت الذي قضته السفينة فوق سطح الماء ، لأن الحاجة لا تدعو إليه ، ولكن المفسرين أسهبوا في الأقوال المتضاربة من قبيل الحشو ليس إلا .

وفي قصة إبراهيم أوجز القرآن ، وفي الجزء الخاص بنجاته من النار . **وقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، إنه إيجاز في غاية البلاغة ليقرب العبرة إلى الأذهان في الآية التالية : « وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخسرين ، ولكن المفسرين أخذوا العبرة بكثرة حديثهم في وصف النار ، وكيف أن عبدة الأوثان استمروا يجمعون الحطب أياماً وشهوراً ، وكيف أن لهب النار أضاء فارس والروم ، وأن دخانها سد ما بين الخافقين ، وأزهق أرواح الطيور في أكنانها والأسود في عرائنها .**

وفي قصة موسى رتب القرآن حوادثها ترتيباً روعى فيه الإيجاز ، لتقرير عظائنها وعبرها في الأذهان ، فلم يتعرض للسدة التي قضائها موسى في التابوت ، ولم يتعرض القرآن للعصا بأكثر من أنها مجرد عصا ، كما لم يتعرض القرآن لعدد السحرة الذين آمنوا بموسى ، ولم يتعرض لعدد

الألواح التي كتب الله له فيها من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ،  
ولم يتعرض لنوع ولا قيمة الكنز الذي كان تحت جدار اليتيمين ،  
بالمدينة التي أبي أهلها أن يضيفوا موسى وصاحبه ، الذي علمه الله من  
لدهن علماء .

والذي يستعرض تفاسير المفسرين فيما أشرت إليه ، لا بد أن تصدع  
أعصابه من الخلط والحشو للذين لا مبرر لهما .

فهم يتبارون في سوق الروايات المتضاربة لتحديد الأيام التي قضاه  
موسى في التابوت ، وتحديد عدد السحرة الذين آمنوا به ، وعدد الألواح  
التي أنزلها الله عليه ، وتفننوا في وصفها ، حتى قالوا : إنها من ذهب ، وما  
إلى ذلك ، كما تفننوا في وصف الكنز الذي كان تحت جدار اليتيمين ،  
حتى قالوا : كان لوحا من الذهب مكتوبا عليه بعض العظمت والحكم التي  
ابتكرها الحيات وحده ، وتفننوا في وصف العصا ، حتى ذكروا طولها  
وسمكها والخشب المصنوعة منه .

وفي قصة يوسف عليه السلام سوق رائجة لحشو المفسرين الممل المتعب ،  
الذي جعل منها أشبه بقصص ألف ليلة وليلة ، وكانت قصة داود  
مع الخصبين ، وقصة سليمان مع ملكة سبأ ، وقصة عيسى مع طلاب  
المائدة . كانت هذه القصص وأمثالها مجالا فسيحا ، لخيال المفسرين الذين  
أفسدوا معاني القرآن ، وشوهوا عظاته بالغات .

ولم تكن قصص القرآن وحدها هي المجال الفسيح لحشو المفسرين ،  
بل إن في الآيات التي لم ترتبط بقصص القرآن ، مجالا فسيحا آخر لهذا  
الحشو الذي كان - ولا يزال - ضروريا بالنسبة لتفاسيرهم .

إنك لتقرأ لهم مئات الآراء حين يتعرضون ( للأمانة ) التي

ذكرت في قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض .. »  
٧٢ - الأحزاب .

وفي تفاسيرهم كثير من التخبط في بعض الآيات ، هذا التخبط الذي لا يتفق والمنطق السليم ، ولا مع سمو القرآن الكريم .

### في الفقه :

إن مشكلة المشكلات هو الفقه الإسلامي ، وليست العلة في ما وضع الأولون من فقه ، منذ بضعة عشر قرنا . ولكن العلة في عكوف المسلمين على تقليد أولئك الفقهاء تقليدا أعمى ، ومحاولة التماس النجدة من مصنفاتهم ، في كل ملة لم بنا ، دون تصرف في تطور الحياة وتقلبات سسناها .

إن تطور الألفاظ العربية ، والتجديد فيها ، كفيلان بان يفرضا علينا شيئا من التحرر من هذه المؤلفات القديمة ، متونها وحواشيا ؛ ولكن تفديس القديم يقف عقبة دائما في سبيل كل نهضة ، يراد لها أن تحل من عقابها . .

لسنا نغمط فقهاءنا الأولين أقدارهم ، وفي مقدمتهم أئمة المذاهب الأربعة المتداولة ، فقد خدموا الشريعة خدمة جنيلة ، بقدر ما سمحت لهم بيئات المسلمين ومجتمعاتهم ؛ واستطاعوا أن يرفعوا من مكانة الاجتهاد ويصونوا قدسيته ؛ وتركوا بابهم على مصراعيه لمن بعدهم ، ولم يغلّق إلا بعد قرون عدة من وفاتهم ، وكان للسياسة اليد الطولى في إغلاقه .

ونحن حين نحاول إصلاح الفقه ، يجب أن يعتمد هذا الإصلاح على دعائمين - كما رأى الإمام محمد عبده : الدعامة الأولى ، فتح باب



الاجتهاد ، وإلغاء التقليد الأعمى ، فأئمة المذاهب الإسلامية جميعها ، بما فيها الأربعة المتداولة اليوم في بلاد المسلمين ، لم يريدوا أبدا أن يقلدوا ، وليكنهم أرادوا أن يفتحوا باب الاجتهاد لكل مقتدر ، ولذلك خالفهم في حياتهم تلاميذهم دون أن ينكروا عليهم .

والعكوف على هذه المذاهب الأربعة ، تتلاشى معه الفائدة المرجوة من اجتهاد أئمتها ، وإن يحقق الساحة التي قام عليها التشريع الإسلامي .

والدعامة الثانية : كتب الفقه ، هذه الكتب التي كتب عليها أن تخلد دون أن تمس ، وأن تقدس دون أن ينال مسلم من قدرها .

إن معظم هذه الكتب مضت عليها قرون عدة . ولا يقر عاقل أن تظل إلى الأبد ، إلا إذا أيقن أن الحياة لن تتحرك ... وسننها لن تتطور ما دامت السموات والأرض .

نحن لا نطالب بإعدامها حتى نتحقق من الوجود ، ولكن نطالب بحفظها — كتراث لأصحابها — في متاحف دور الكتب في العواصم الإسلامية ، وليرجع إليها من يشاء في المسائل الفقهية الخالدة كالعبادات مثلا ، كما نطالب بمؤلفات فقهية جديدة تسير الزمن ، وتستوعب ما جد في حياة الناس ، وتحقق اليسر الذي أراده الإسلام لتشريعته .

وهذه المؤلفات الفقهية التي نريدها ، إنما نريدها متحررة من التقليد ، فالمسائل المتفق عليها ، لا تقليد فيها من طبيعتها ، والمسائل المختلف فيها لم تختلف فيها عقول الفقهاء ولا أفكارهم ، وإنما استخلص كل منهم رأيه معتمدا على تفسير آية قرآنية ، أو على حديث نبوي ثبت عنده . ولذلك لا يصح أن نقول هذا رأى مالك أو أبي حنيفة ، أو الشافعي أو

أحمد أو غيرهم ، وإنما هو رأى الشرع ، وللسلم أن يأخذ بأرجح الآراء  
أو بأبها . غير متقيد بواحد منها ، وبذلك تتحقق رحمة التشريع  
الإسلامي .

### الحديث النبوي :

مشكلة الحديث النبوي ، مشكلة لها خطورتها ، فهو الأصل الثاني  
للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم .

ظل الحديث النبوي أكثر من قرن محفوظاً في القلوب ، تتناقله  
اللسنة ، وتدارسه العقول ، وقد فكر عمر بن الخطاب حين ولى  
الخلافة أن يدون الحديث النبوي ، ولكنه خشى أن يكب المسلبون على كتب  
السنة ، ويتركوا كتاب الله ، كما فعل بنو إسرائيل .

وفي أوائل القرن الثاني من الهجرة ، عزم الخليفة عمر بن عبدالعزيز  
على تدوين السنة ، خوفاً عليها من الضياع بموت الصحابة والتابعين ،  
فكلف ابن حزم تدوينها .

إن ترك السنة ، طيلة أكثر من قرن بدون تدوين هو الذى خلق  
المشكلة ، ولو أنها دونت ، لكان لنا سنة متفق عليها ، ولكن لا حيلة  
لنا فيما قضى الله .

لقد تفرق أصحاب رسول الله فى الأمصار بسبب الفتوح ، وهم وعاة  
السنة وحفاظها ، ولقد لاقى أئمة الحديث مشقة كبرى فى جمع السنة ،  
وتكبدوا ما تكبدوا ، فى سبيل تأدية أجل خدمة للدين ، وكان من  
الضرورى أن تنشأ الاختلافات فى الروايات ، فإن بعض الصحابة قد  
حفظ الحديث كما سمعه ، والبعض قد حفظ الحديث كما فهمه .

ثم إن الاختلافات السياسية كانت أكبر عامل في إحداث التضارب في رواية الحديث ، فكل من السنية والشيعة والخوارج والمرجئة ، اهتم من الأحاديث بما يختص بمذهبه ويوافقه ، وحاول تقوية روايته ، وفي ظل معارك هذه الطوائف ، دس الكثير على أحاديث الرسول ، وتخصصت طائفة من الزنادقة في وضع الأحاديث لتهدم الإسلام ، كما تخصصت طائفة من البلهاء في وضع الأحاديث ظناً منها أنها ستخدم الإسلام .

ولعلاج هذه المشكلة يجب أن تتحقق الأحاديث النبوية تحقيقاً نزيهاً لا تعصب فيه ، بعد أن تنقى تنقية تامة من الموضوعات التي دس عليها ، والذي ثبت صحته فعلى الرأس والعين ، والذي ثبت ضعفه يجب أن يترك جانباً ، ليؤخذ منه وقت الحاجة ما يقره العقل والشرع ، وتتطلبه المصلحة العامة والخاصة .

ويجب أن توضع مؤلفات جديدة تستوعب الصحيح من كتب السنة كلها ، ومؤلفات جديدة تستوعب ما حوته كتب السنة من حديث ضعيف ، ومؤلفات أخرى تنفرد بالموضوعات التي اشتملت عليها أيضاً ، وليس فرضاً علينا أن نظل عاكفين على كتب الحديث الستة ، ولا على غيرها ، لأنها لم تواف لتسير مع القرآن جنباً إلى جنب .

والمهمة الثانية : أن تراجع المؤلفات الإسلامية الواسعة الانتشار ، ليفصل فيما جمعه من أحاديث ، كما هو موجود في بعض المؤلفات الإسلامية ، ومنها كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، والذي خرَّج أحاديثه الحافظ العراقي ، والكتاب من غير تخريج الحافظ العراقي لأحاديثه — لا كبير قدر له .

والمهمة الثالثة تقع على عاتق جمهرة المسلمين ، فالواجب عليهم أن يدققوا النظر

في الأحاديث التي يتناولونها حين يكتبون وحين يقرأون وحين يدرسون،  
فلا يكتب ولا يقرأ، ولا يدرس من الأحاديث النبوية إلا بإثبات رواية  
الحديث ودرجته .

وبذلك يمكن تقديم إسلام مصفى للمسلمين يرفع من شأنهم ، وينهض  
بأقدارهم . ويمكن ضبط معلوماتنا الإسلامية التي كثيراً ما تعتمد على  
الأحاديث بجانب القرآن . ولا يمكن لمخترف أن يدجل ويشعوذ ويخدم  
مذهبه على حساب فوضى الأحاديث الدينية . التي تتناقلها السنة العامة  
والجهلة دون فقه أو تدبر . .

إذا قدر للأحاديث النبوية أن تنظم ، وقدر للمؤلفات الإسلامية  
الكبرى والمتداولة أن تحقق أحاديثها ، وقدر للمسلمين ألا يتناولوا إلا  
ما حقق منها وفصل فيه ، استطعنا أن نخدم الدين عن طريق السنة .  
ونخدم العقول ، ومعلوماتنا ، وأن نفرض خلافاتنا التي لم تزل إلى اليوم  
تمزق وحدة المسلمين ، وتفرق كلمتهم .

### في بيوت الله :

إن بيوت الله تعالى لم تقم إلا ليخرج فيها شعب مسلم قوى ، وإلا  
ليدرس فيها النظام العملي الذي ينهض بهذا الشعب حتى يبلغ به القمة .  
وإلا لتزود العقول بقسط وافر من الثقافة الإسلامية الخالصة .

ولا نظن أن مساجدنا على حالتها الراهنة تستطيع أن تؤدي شيئاً  
من هذه الرسالة ، ولا أن تحقق هدفاً من أهدافها التي يجب أن تحقق .

أما تخريج شعب مسلم قوى فيها ، فلن يكون الا على أيدي أئمة

المساجد وخطبائها . وهؤلاء أصبحوا اليوم موظفين من موظفي الدولة .  
ولا يعتبرون أنفسهم أنهم أصحاب رسالة يجب أن تؤدي .

فإذا قدر لهم أن يُدرّسوا في المسجد ، فلا يكادون يخرجون عن نطاق  
فقه العبادات مع إثارة كل اختلافات المذاهب الفقهية ، وعن نطاق  
التفسير المحشوب بالاسرائيليات - أما المعاني الإسلامية الحية ، فلا تكاد تسمع  
في المسجد بحال من الأحوال .

وحين يخطبون الجمعة ، فإنما يحاولون أن يتقموا من المصلين حتى  
لا يفكروا في صلاة الجمعة مرة أخرى ، فهم يطيلون الخطبة ، ويلتوتون  
ويعجبون . حتى توشك نفوس المصلين أن تزهد ، وليت للخطبة هدفا  
معينا ، أو مغزى مهما ، حتى يضطر المصلون إلى الصمت ليفيدوا منها .  
ويتعظوا بها .

كان الرسول - مع أدبه الرفيع ، وعظته البالغة ، وبلاغته العالية -  
يتخول أصحابه بالموعظة ، من وقت لآخر . ولم يطل الخطبة حتى لا يملوا ،  
بل كانت صلاته قصدا ، وخطبته قصدا . كما ورد في حديث مسلم  
عن جابر .

وفي حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم :

« كان عبد الله بن مسعود يعظ الناس في كل يوم خميس . فقال له رجل :  
يا ابا عبد الرحمن ! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال أما إنه يمنعني من  
ذلك أني أكره أن أملككم . وإني أتخولكم بالموعظة . كما كان النبي ( ص )  
يتخولنا بها مخافة السامة علينا . »

وهؤلاء الخطباء العجزة يستبدون بالمصلين ، ويحبسونهم ساعة ونصف

بالمسجد . ليثرثروا بالأفكار السقيمة ، والمعاني المضطربة . والتوجيهات  
المبهلة ، التي لا تمت إلى حياة الناس بصلة . .

حين خلعت فرنسا الفاجرة سلطان مراکش المسامة . وتفجرت  
دماء الوطنيين فوق أرض مراکش في العام الماضي — خلال هذه الأيام  
دخلت مع رفقة لنؤدى صلاة الجمعة في أحد مساجد القاهرة . ففيم كان  
يخطب الخطيب الموقر ؟

كان يحدث المسلمين عن ظلال الجنة ، وأن الراكب يسير في ظل  
ورقة من أوراق شجرة من أشجار الجنة خمسمائة عام — وانتظرنا من  
الخطيب الموقر ، أن يشير إلى الجهاد من قريب أو بعيد ، وهو السبيل  
إلى هذه الجنة التي أخذ وصفها من وقت المسلمين ساعة كاملة . ولكنه  
لم يفعل ولم يحاول أن يفعل . . .

وليته وقف عند هذا الحد ، ولكنه تابع حديثه قائلاً : ان السبيل  
إلى الجنة سهل ميسور ، فالسكمة الطيبة تدخلك الجنة ، وإماطة الأذى  
عن الطريق تدخلك الجنة ، والصلاة على النبي ولو مرة واحدة تدخلك  
الجنة . وقولك سبحان الله والحمد لله . يدخلك الجنة . . . وفضل الله كبير .  
ولم يكن من حقنا وقشند أن نناقش هذا الخطيب ، ليقفه أن الجنة  
مخوفة بالمسكاره — كما يقول الرسول — وأنها ليست رخيصة بهذه  
الدرجة . . .

وكنت ذات مرة في الريف ، وحين حان وقت الجمعة . استمعنا  
إلى العجب من الخطيب ، كان يقول للمصلين وكلهم تقريباً فلاحون  
كادحون ، لم يفارقهم بعد عرق السكد والتعب :

وإياكم والشيوعه فإنها كفر ، لأنها تنكر الله ، وتعادى الأديان ؛  
وتحض على الرذيلة وارتكاب الفاحشة ؛ إنها تجيز للأخ أن يتزوج بأخته ،  
والابن أن يتزوج بأمه ، وتجيز للرجال أن يتخالطوا النساء كيفما شاءوا ،  
لأن الزنا غير محرم في شريعته...!!

ولم تكن دهشتي أقل من دهشة هؤلاء الفلاحين المكردوين . لهذا  
الخطيب الذى جعل من نفسه بوقاً لخطب وزارة الأوقاف دون  
تصرف .

كان فضيلة الشيخ محمود خليفة المدرس بكلية الشريعة ، خطيباً بمسجد  
الشامية بالقاهرة ، وكان يمد مجلة الإسلام التى تصدر بالقاهرة أيضاً .  
يخطب الجمعة ، وقد كانت خطبه عصرية ؛ تعتبر مرآة لحياة القاهرة الصاخبة ،  
وكانت كثيراً ما تتناول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية .

وكان لخطباء المساجد بالريف شوق يخطب الشيخ حتى يتحرروا من  
الدواوين العتيقة التى عاصرت قنصوه الغورى ، وعلى بك الكبير ،  
وكان من المضحك أن يخطبوا فى الفلاحين المكردوين عن صالة و بديعة  
مصابى ، وحفلات و سمراميس ، و ميناهوس ، و مخازى مصايف  
و سيدى بشر ، و رأس البر ، و دكيلوباتره ، ! !

فإذا تركنا حماقة الخطب المنبرية ، نجد حماقة أخرى فى بعض المساجد ،  
هذه المساجد التى تحاول جاهدة أن تعطل دولاب العمل ، ليبقى الناس  
طول النهار بالمساجد ؛ فالصلاة الواحدة لا تودى فى أقل من ساعة ونصف  
ساعة ، ولا يقوى مسلم على مناقشة هؤلاء الأئمة المنتطعين ، الذين  
يصوغون الإسلام وفق حماقتهم وبلاهمتهم .

والعجيب أنهم يؤكدون للسذج والمغفلين من المسلمين ، بأن إطالة

الصلاة إلى درجة الخنافة ، هي السنة المحمدية التي يجب تباعها ، ونحن نحيل عليهم هذه الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها البخاري ومسلم ، دون تعقيب عليها لأنها لا تحتاج إلى تعقيب .

عن جابر أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي (ص) ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة ، فقرأ بهم البقرة ، قال : فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة ، فبلغ ذلك معاذاً ، فقال : إنه منافق ، فبلغ ذلك الرجل . فأتى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ، إنا قوم نعمل بأدينا ، ونسقى بنواضحنا (١) . وإن معاذاً صلى بنا البارحة فقرأ البقرة ، فتجوزت ، فزعم أني منافق ، فقال النبي (ص) : « يا معاذ .. أفتان أنت ؟ » ثلاثاً إقرأ — والشمس وضحاها — وسمع اسم ربك الأعلى — ونحوها .

وفي حديث ابن مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ، إني والله لآتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها ، قال : فما رأيت النبي (ص) قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ ، ثم قال : « يا أيها الناس : إن منكم منفرين ؛ فأيكم ما صلى بالناس فليوجز ، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة » .

وفي حديث أنس بن مالك ، قال : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي (ص) ؛ وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه .

فأين هؤلاء الخمق من سنة محمد التي يدعون إيجابها والتمسك بها .  
وهناك حماقة ثالثة ، مسئول عنها المشرفون على المساجد . والمصلون

(١) نواضحنا : جمع ناضح وهو البعير الذي يسوق عليه .



معاً ، أما مسئولية المشرفين على بيوت الله ، فنحصرة في الإهمال الشائن  
في نظافة المسجد ، حتى يليق بالاتساق الى بيت الله تعالى ، فهم لا يولون  
المسجد عناية ، الا اذا فكر حاكم كبير أو عظيم خطير في تأدية صلاة  
الجمعة به ، وفي غير ذلك ، فالمسجد مهمل اهمالاً شائناً لا مثيل له .

ان المرتدى ملابس افرنجية ، لا يقبل مطلقاً أن يقضى حاجته في  
مرحاض المسجد ، ولا يقبل أن يتوضأ في دورة مياهه ، لأنه يحار في إيداع  
ملابسه التي يرغب في خلعها ... وكان لا بد من ألا يؤدي الفريضة بالمسجد  
ما لم يكن متوضئاً في منزله .

ومسئولية المصلين تنحصر في إهمالهم أنفسهم في نظافة هياتهم ، فإن  
الكثيرين - وبالأخص في يوم الجمعة - يغادرون أعمالهم بملابس  
العمل ، ليؤدوا الصلاة ، دون أن يتنظفوا أو يتطهروا . مع أن التطيب  
والتطهر من السنن التي أوصى بها الرسول صلوات الله عليه .

ومن الانصاف ألا يلقى اللوم كله على هؤلاء المقصرين في إحق أنفسهم ،  
المستخفين ببيوت الله تعالى ، لأن هناك قسطاً كبيراً من اللوم يقع على  
عائق أئمة المساجد ، الذين لم يتكرموا مرة بحث المسلمين على النظافة ،  
وإكرامهم أنفسهم حتى يليقوا بالاتساق الى خير أمة أخرجت للناس .

قال لي تاجر سوري يوماً : تمنيت أن أستمع الى خطبة جمعة بحث الخطيب  
فيها المسلمين على النظافة والعناية بأنفسهم ، ولكنني كنت أبوء بالخيبة  
دائماً ، فالشعب القوي إنما هو مجموعة أفراد أقوياء ، ولن يكون الفرد  
قويًا الا اذا اعتز بنفسه وأيقن بأن له كيانه وقدرًا !..

ولكن ما أبعد خطباءنا عن هذه الأمثلة الحية .  
وهناك حماقة رابعة تدل على أبلغ درجات الفوضى ، ففي المساجد

الكبرى بالقاهرة ، كمسجد السيدة زينب مثلا ؛ ما هو أعجب من العجب ،  
فلمسجد يظل طول النهار ، وردحا من الليل صاحبا صخب الأسواق  
وأشد ؛ فالباعة المتجولون والمسولون وبيعة التعاوين والأحجية ؛ وقراء  
القرآن ؛ ودرابش الطرق الصوفية ؛ هؤلاء وغيرهم يحوطون المسجد  
ولا يرحمونه ساعة من ليل أو نهار .

فإذا ما دخلت المسجد خيل إليك أنك في سوق صاخبة ؛ ففي وسطه  
حلقة علم ، وفي زواياه قراء يتلون كتاب الله بصوت جهورى ؛ وفي  
ركن من أركانه جماعة تقرأ دلائل الخيرات ؛ وفي ركن آخر جماعة تذكر  
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ؛ ومع هؤلاء سقما ون متطوعون لتقديم  
الماء لزوار الضريح والمصلين على السواء .

ولا يحاول المسلمون أن ينفقوا أن المساجد يجب أن يسودها الوقار  
والسكينة والهدوء ؛ لا الصخب والجلبة والغوغاء ؛ وكأنهم لم يقرأوا  
أبدا قوله عليه الصلاة والسلام .

و إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون ؛ عليكم  
السكينة ؛ فما أدركتم فصلوا ؛ وما فاتكم فأتموا — متفق عليه .

في سبيل صيانة المسجد من الصخب والغوغاء نهى الرسول (ص) أن  
يرتفع صوت فيه ؛ أو تحدث جلبة بين زواياه .

في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « من سمع رجلا ينشد في  
مسجد ضالة ؛ فليقل لا أدامها الله إليك ؛ فإن المساجد لم تبين لذلك . »

وفي حديث آخر : « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد ؛ فقولوا  
لا أربح الله تجارتك ؛ وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة ؛ فقولوا لا رد الله  
عليك ، رواه الترمذى . »

ولكن أنى لهم هذا الفقه ؟!

## الإصلاح الاجتماعي

إن نواحي الإصلاح الاجتماعي متعددة لا حصر لها ، ونحن هنا في هذه الصفحات القليلة لا نتحدث عما نود أن نتحدث عنه ، ولا نستعرض على بساط البحث ما نرغب في استعراضه — على سبيل الحصر ، وإنما على سبيل محاولة التجاوب مع دعاة الإصلاح المخلصين ، في أبرز المشكلات التي تشغل الأذهان من فوق مسرح المجتمع .

فالطلاق . وتعدد الزوجات وتحديد النسل ... هذه المشكلات هي من أبرز المشكلات الاجتماعية في الشرق الإسلامي كله ، ونود هنا أن نحقق حُجب ، إذا ما كان الإسلام قابلاً ومستعداً للتجاوب مع النزعات الإصلاحية التي تنهض بالمجتمع ، أم أنه غير قابل ولا مستعد للتجاوب معها ، بل سوف يقف عقبة كؤوداً في سبيلها .

ولا يوجد مسلم واحد يتهم الإسلام بالأخرى ، لأن الإسلام مقدر عليه أن يظل خالداً إلى الأبد ، ولا بد له من تشريع مرن يتطور مع تطور الزمن حتى يضمن له الخلود .

ولا ينكر مرونة التشريع الإسلامي إلا أحمق أو جاهل أو غبي ، فالتشريع الإسلامي مرن كله ، ولم ترد مادة واحدة من مواده جامدة غير قابلة للمرونة .

وأنت إذا استعرضت أركان الإسلام الخمسة : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج بيت الله الحرام — أنت إذا استعرضت هذه الأركان الخمسة .

أدركت أن الشهادتين اللتين هما بمثابة تذكرة المرور للدخول إلى الإسلام ،  
يكفي الإنسان النطق باللسان بهما ، كما يكفيه في حالة الاكراه أن يوقن  
بهما قلبه ( ... إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) . وكذلك الصلاة .  
يؤديها المسلم بأعضاء جسده كلها في المسجد — إن تيسر له ذلك — كما يؤديها  
راكبا دابته في الحلاء في حالة الخوف . وبطرفي عينيه فوق فراشه .  
وبحالة خاصة في ميدان الحرب . ويقصر الصلاة في السفر ، وفي الإقامة  
يؤديها كاملة ، ومن تيسر له الماء توضأ ، وإلا يتم بالصعيد ، وبما يمت  
إليه بصلة ، والصوم ، يؤديه المسلم المقيم والصحيح القادر ، والمسافر  
والمريض أن يؤخرا الصوم حتى يقيم المسافر ويشفي المريض ، وللحائض  
والنفساء ، أن تؤجلا الصوم حتى تطهر الحائض وتنتهي مدة النفاس .  
وللشيخ العاجز عن الصوم أن يفدى بإطعام مسكين عن كل يوم .  
وكذلك الزكاة ليست فرضا إلا على من يملك النصاب من المسلمين .  
والحج إلى البيت ليس فرضا إلا على من يستطيع إليه سبيلا .  
هذه لفظة وجيزة تؤكد بها للحق المتعصبين ، أن تشريع الإسلام  
مرن مرونة ترفع من قدره ، وتهب له الخلود الذي أراده الله له .

وإليك أمثلة أخرى — تؤكد بها أن تشريع الإسلام وضع لمصلحة  
البشر ولذلك لم تصبه ذرة من الجود والتعقيد ، فأنت ترى أن الإسلام  
حرم بعض المحرمات ، وفي مقدمتها الخمر والميسر ، والدم ولحم الخنزير ،  
وما أهل لغير الله به ، وغيرها ، ولكنه أباح للمضطر أن ينال منها اذا  
ما اضطرته بعض الظروف ، حتى لا يكون التشريع عاملا من عوامل  
التضييق والخرج : وهو أبرأ ما يكون منها ، والى هذا يشير القرآن  
الكريم :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ،  
والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ، وما  
ذبح على الثنصب وأن تستقسموا بالأزلام : ذلك فسق » : اليوم يئس الذين  
كفروا من دينكم فلا تحشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت  
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في خصية غير متجانف  
لإثم فإن الله غفور رحيم ، ٣ - المائة .

« إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ،  
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ، ١١٥ - النحل .

وإليك مثلاً آخر يوضح لك أن التشريع الإسلامي لا يمكن أن  
يكون يوماً ما ، عتمة في سبيل الإصلاح ، ولا يمكن أن يتخلف يوماً ما ، عن  
ركب الإصلاح أينما سار ، لأن هذا التشريع لم يوضع إلا ليصلح الحياة ،  
ويهيئها طيبة خالصة للبشرية في شتى مراحلها .

ففي صحيح مسلم : أن الطلاق الثلاث كان يقع واحدة على عهد الرسول  
(ص) وأنى بكر وجزء من خلافة عمر ، ورأى عمر رضى الله عنه  
استخفاف المسلمين بالطلاق ، وأخذت أسنتهم على لفظه الثلاث ، ولما  
رأى عمر (ض) في هذا الاستخفاف خروجا على قاعدة النظام التي وضعها  
الإسلام للطلاق ، عمد إلى تأديب أولئك المستخفين ، بإيقاع لفظه الطلاق  
الثلاث ، طلاقات ثلاثاً ، وذلك بعد أن استشار أصحابه قائلاً : « إن  
الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟  
فأمضاه عليهم ،

ولم يكن يهدف عمر من تشريعه إلى تسهيل هدم كيان الأسرة بتيسير

الطلاق ، الذى لا رجعة فيه ، وإنما كان يهدف إلى صيانتها بمخالفة الاستخفاف بالطلاق إلى درجة الخروج عن الحدود التى حددها الله .

ولقد شرع عمر رضى الله عنه عدة تشريعات ، لم يهدف من ورائها إلا إلى تحقيق المصلحة ، وهو لم يلجأ إليها إلا مضطراً ، فقد أوقف حد السرقة عام الجماعة ، لأن الدوافع إلى السرقة لم تسكن سوى الجوع ، فكان حكم السارق تحكّم المضطر الذى ينال من المحرمات .

ولم يكن الخليفة عمر مبتدعاً ، فقد لجأ الرسول إلى تشريعات مؤقتة تقضيها المصلحة ، فقد جاء فى البخارى أن النبي عليه السلام نهى المسلمين أن يبقوا لحوم الأضاحى أكثر من ثلاثة أيام ، فى سنة اجتاحتها الجوع والفاقة والشدة ، حتى يمد للجائعين والمحتاجين أن ينالوا من لحوم الأضاحى ، وما كادت تنتهى الشدة حتى أباح الرسول للمسلمين أن يدخروا لحوم الأضاحى إلى أى وقت شاءوا .

وقد روى الطبرانى عن أبي سلمة أن النبي عليه السلام ، نهى المسلمين فى أول الأمر عن زيارة القبور ، لأنهم حديثو عهد بالوثنية ، ثم أجاز لهم زيارتها لأن لهم فيها عبرة ، وذلك بعد أن استقرت العقيدة الإسلامية فى نفوسهم ، وأصبحوا لا يخشى عليهم فتنة الوثنية .

وخلاصة القول ، أن الفقهاء نصوا على أن التشريع إذا لحق منه الأمة أفراداً وجماعات الضرر والضرار أوقف ، أو حور إلى الدرجة التى يتنافى معها الضرر والضرار .

ففى سنن أبى داود ، أن النبي عليه السلام نهى أن يقام الحد فى الغزو فربما كان إقامة الحد سبباً فى لجوء المحدود إلى أرض العدو ، أو سبباً فى إشعال الاضطراب بين صفوف جيش المسلمين .

والأمثلة كثيرة ، والمهم أن نفقه ، أن تشرح الإسلام مستعد لأن يتجاوب مع نزعات الإصلاح ، التي تهدف إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي وترفع عن كاهله الضرر والخراب .

° ° °

### الطلاق :

مشكلة الطلاق يجب أن تناقش على ضوء الإحصائيات في بلاد المسلمين ، وآخر إحصائية للطلاق في مصر ، تقرر أن الطلاق يهدم سنويا زهاء ثمانين ألف أسرة ، ليس من بينها ٢٠٪ تستوجب حالها الطلاق ، والثمانية والتسعون في المائة هدمها الطلاق بدافع من الحق والطيش ، والهوى الاعمى ، ولك أن توفق بأن ٩٠٪ من هذه الأسر المنهارة فقيرة فقراً مفزعاً ، ولك بعد ذلك أن تدرك بنفسك ذلك الجيش الجرار من الأطفال ، الذي تدفع به هذه المأساة إلى الشوارع حيث التشرذ الذي يهب له الضياع .

وللمتعصبين بعد هذا أن يكفروا دعاء الإصلاح حين يطالبون بالتشريع الذي ينظم الطلاق ، حتى لا يكون أداة هدم لكيان الأسر ، لأن قلوبهم قد أصابها العمى ، وأفهامهم قد أصابها الحق والسفه .

إننا نعتبر الطلاق رخصة للذين يحسنون استعمالها ، فإذا ما أساءوا استعمالها ، كانوا سفهاء وسلبت منهم ، وإذا كان الإسلام نص على ألا يؤتى السفهاء أموالهم متى أساءوا استغلالها ، أفليس أحق بالحجر على هؤلاء السفهاء الذين يستغلون الطلاق في هدم أسرهم ، وتشريد أطفالهم ؟ ونحن إذا استعرضنا قضية الطلاق وجدنا أن الإسلام رسم طريقاً

واضحاً يحول دون إيقاع الطلاق ، فإذا ما ساء خلق الزوجة ، كان على الزوج أن يبداً بوعظها ، فإذا لم يُجدد الوعظ تفعا لجأ إلى هجرها في المضاجع ، فإذا لم يجد الهجران تفعا ، لجأ إلى ضربها ضرباً غير مبرح ، لا يشوه الوجه ، ولا يخذل اللحم ، ولا يكسر العظم ، فإذا لم يجد معها هذا ولا ذاك ، ودب الشقاق بينهما ، بُعث إليه بحكم من أهله ، وحكم من أهلها ، ليدرسا الشقاق ، ويحاولا التوفيق بينهما ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله :

«... والتي تخافون نشووزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله كان علياً كبيراً — وإن خفتم شقاقَ بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليماً خبيراً .»

٣٤ ، ٣٥ — النساء

فإذا ما فشلت هذه الوسائل في إعادة حياة مستقرة سعيدة إلى الأسرة ، وأقر الحسبان التفريق بين الزوجين ، كان هناك الطلاق الرجعي ، وألزم الزوج أن تظل زوجته معه إلى أن تنتهي عدتها ، لعل الفرصة تسمح بعودة الوفاق بينهما ، فيعمد الزوج إلى إرجاعها إلى عصمته من جديد . وإلى هذا يشير القرآن الكريم !

«يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة وانقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .»

١ — الطلاق

وبعد أن تنتهي عدتها . كان للزوج أن يرجع نفسه ، وأن يقدر



للأمور قدرها ، فإن رأى في الإبقاء عليها خيرا أبقاها ، وإلا فارقها  
 بمعروف ، ولا بد من الإشهاد في الحالين ، وإلى هذا يشير القرآن :  
 ، فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف  
 وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله . . . ٢ - الطلاق  
 ولكي يحول الاسلام دون انهيار الاسرة جعل الطلاق مرتين ، حتى  
 يكون هناك مجال للالتئام ، إذا حدثت الطلقة الأولى والثانية ، وإذا لم  
 يحدث هذا الالتئام بعد المرتين ، حدثت الطلقة الثالثة الأخيرة ، لتكون  
 دليلا على تلاشي كل أواصر المودة بين الزوجين ، وعدم إمكان تيسير  
 الحياة الهادئة لهما .

° ° °

هذا تمهيد لا بد منه ، ليدرك المتعصبون ، أن الاسلام لم يشرع  
 الطلاق إلا للمضطر ، ولا يشرعه معولا لهدم الأسر وتشريد الأطفال ،  
 وقد ذكر الفقهاء - كما جاء في الجزء الرابع من المغنى - أن الطلاق  
 الذي لاندعو إليه الحاجة محرم ، ويؤيد هذا قول النبي صلوات الله عليه :  
 ، أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس ، فحرام عليها  
 رائحة الجنة ، رواه الخمسة الا النسائي .

ولنعد إلى موضوع بحثنا ، فالمصلحون اليوم يرون ضرورة تقييد  
 الطلاق إلا بأذن من القاضي ، والمتعصبون الحق يقولون بكفر هؤلاء  
 المصلحين ، وأنهم إنما يهدمون الشرع ويعيشون بالتشريع .. والمصلحون  
 المخلصون ، لهم تقديرهم في نظرنا لأنهم إنما يحاولون إصلاح الأسرة ، حتى لا يكون  
 تشريع الإسلام سببة في جبينه . والمتعصبون للوقوف عند حدود التشريع ،

يخشون أن يكون هذا الانجاء بداية للعبث بالتشريع ، بدافع من الهوى والغرض ، ولغيرتهم تقديرها في نظرنا أيضاً .

وإلى الآخرين نوجه القول ، فهل ينكرون أن الاسلام أمر ببعث حكمين من أهل الزوجين . وأن الفقهاء اعتبروا حكمها لازماً لسكنتها ؟ ألم يتدخل النبي حكماً بين زينب بنت جحش وزوجها زيد ، والزوم زيدا أن يمسك عليه زوجته ، والقصة مشهورة في القرآن . ؟

ألم يتدخل النبي حكماً بين ثابت بن قيس وزوجته جميلة ، وفرق النبي بينهما ، لأنه رأى الخير في التفريق بينهما . والقصة في صحيح البخاري ؟ ألم يرسل الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه ، ابن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبي طالب ، وزوجته فاطمة بنت عيينة ، وقال لها : « إن رأيتما أن تجمعا بينهما جمعتهما . وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما . » والقصة مشهورة في كتب السيرة المعتمدة .

إذا كان الأمر كذلك ، فأى مانع من أن تدرس دوافع الطلاق قبل وقوعه ، فإذا كانت تستحق التفرفة ولا يصلح غيرها ، فرق بين الزوجين وإذا لم تكن تستوجب التفرفة أصلح بينهما ، وليس في هذا الاجراء ما يمس التسريع الاسلامي في كثير أو قليل .

يقول البعض : إن الانجاء إلى المحاكم مما يزيد اشتعال الخصام بين الزوجين ، ويفشى أسرار الأسرة الدقيقة .

ونحن نقول لهذا البعض : إن الرجل العاقل يجب أن يلتزم خطوات الشرع ، في محاولة إصلاح زوجته حين تتحول أخلاقها ، فيعظها أولاً ، ثم يهجرها ثانياً ، ثم يضربها ضرباً غير مبرح ثالثاً ، ونعتقد أن اتباع هذه

الخطوات قد يعود بالمرأة إلى صوابها ... وإذا تطورت المسألة إلى المحكمة  
فليعتقد كلاهما أن عليها التزام حدود الشرع في التقاضي، وأن هدفها الصلح  
جهد المستطاع - لا اشتداد النزاع والخصام .

أما خشية إفتشاء أسرار الأسر، فمن الممكن أن يقترح سرية الجلسات  
في مثل هذه الأحوال .

سمعت هذا البعض يندد من فوق المنبر في خطبة الجمعة قائلاً : إن  
تقييد الطلاق وإلجاء الزوجين إلى المحاكم بهذه الصورة ، خروج على  
الاسلام وكفر بتشريعه ، ولم نسمع أن حدث في عهد النبي ولا الصحابة  
أن أمر الأزواج المتنازعين باللجوء إلى المحاكم ، بل كل حر في أن يطلق  
أو يمسك .

ونحن نفهم أن هذا الخطيب وأمثاله ، مندفعون بالعاطفة الدينية  
ليس إلا ، فالمعروف أن المحاكم لم تكن قائمة في عهد النبي ولا في عهد  
أصحابه . أما في عهد النبي فقد كان هو القاضي الحاكم بين المسلمين ، ولم  
تصل إليه حالة نزاع بين زوجين الا تدخل حكماً بينهما ، وقد ضربنا  
كثيراً من الأمثلة التي لا داعي هنا لتكرارها ، بل قد كان البعض من  
أصحابه يستأذنه في طلاق زوجته بعد أن تعيينه الحليل ، وقد جاء في تفسير  
ابن كثير بالجزء الأول ، أن أبا أيوب الأنصاري استأذن النبي في طلاق  
إمرأته ، فقال له (ص) يا أبا أيوب ، إن طلاق أم أيوب لحوب ، أي لاثم  
فأمسك زوجته .

والمعروف أن الاسلام لم يشرع الطلاق ليكون سلاحاً في يد الزوج ،  
ومعول هدم يستعمله متى شاء ، ولكنه شرعه رخصة يلجأ إليها المضطر  
فاذا أساء استعلاها سلبت منه .

قال ابن عابدين من فقهاء الحنفية :

« وأما الطلاق فالأصل فيه الحظر — أى الحرية — والإباحة  
للحاجة إلى الخلاص ، فإذا كان بلا سبب أصلاً لم يكن فيه حاجة إلى  
الخلاص ، بل يكون حمقاً وسفاهة رأياً ، ومجرد كفران للنعمة ،

° ° °

### نعدد الزوجات :

وهذه هى المشكلة الثانية ، وهى ليست أقل خطراً من سابقتها ، لأن  
كليتهما تهدد استقرار الأسرة وسعادتها ، ولأن كليهما استغلت سلاحاً  
ضد الزوجة ، ولم تستغل رخصة يلجأ إليها المضطر فحسب ، ليرفع عن  
كاهله الحرج ، ويجد لنفسه مخرجاً من الأزمات المستحكة .

كنت أناقش أحد العلماء الدينيين هذه القضية ، إثر قوله فى مجلس  
محترم :

« إن محاولة تقييد الزواج بواحدة يعتبر خروجاً عن الدين ، وإلحاداً فى  
تشريع الله ، ورجوعاً إلى النصرانية التى لا تبيح التعدد ..! »

قلت لفضيلته : ما رأيك فى عامل ذى أجر محدود ، يعول أسرة من  
زوجة وخمسة أبناء ، ويعيش معها بأجره المحدود عيشة ضيقة ، فهل يقره  
الاسلام على الزواج من ثانية بمجرد السكيد لزوجته الأولى ، أو  
الوقوع فى حب فتاة لعوب ؟

فأجاب فضيلته : إن الاسلام لا يمنعه ، لأنه منحه الرخصة فى هذا ..

قلت لفضيلته : إن فلسفة التشريع لأعقل من أن تقر الضرر والضرار ،  
وأعقل من أن تهب للأسر حياة الاضطراب ، وللأطفال حياة التشرذ  
والضياع ، وأعقل من أن تقر سفه السفهاء وحمق الأغبياء . .

ولم يسعفني الوقت لأقول لفضيلته : إن هذه الرخصة لا يمنحها الاسلام  
إلا المضطر إليها ، ولا يمنحها العايشين من السفهاء الذين تستوجب  
حالتهم الحجر عليهم .

والذين قدر لهم أن يدرسوا قضية التعدد في الاسلام بإخلاص  
ونزاهة ، يتأكد لديهم أن التشريع مضيق فيها تضييقاً شديداً ، فالآية  
التي أبحاث تعدد الزوجات اشترطت العدل وفي نفس الوقت ناصرته  
الاكتفاء بالواحدة ، منعا للحرص ونجاة من الوقوع في جريمة الجور :

... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن  
خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا  
تعولوا ... »

ويقصد من العدل هنا ، العدل بين الزوجات من ناحية ، والعدل بين  
الرجل ونفسه من ناحية أخرى ، كأن لا يحملها فوق طاقتها ، اذا كانت  
ظروفه المادية مثلاً ، لا تكفي للإئتماق على أكثر من واحدة ، ولذلك  
يجب أن يفسر العول في الآية على وجهين : الجور ، وكثرة العيال .

ولقد ناصرته آية أخرى الاكتفاء بالواحدة ، حين أشارت إلى  
عدم توفر إمكانيات العدل في الرجال مع حرصهم عليه ، لتحول بينهم  
وبين التعدد الذي يسبب لهم الحرج في حياتهم .

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل  
الميل فتدروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً  
رحيماً ، ١٢٩ - النساء .

على أن الأصل في تعدد الزوجات الإباحة ، للذين يقوون على الإنفاق  
والعدل بين الزوجات ، فإذا فقد الرجل أحدها أو عجز عنه ، لم يخصص  
له بهذه الإباحة ، ولولاة الأمور ( أى الحكومات الإسلامية ) أن تحرم  
المباح على من يسيئون استعماله ، ويلحقون بأنفسهم ومجتمعهم وأمتهم الضرر .  
قال الأستاذ الإمام في تفسير المنارج ٣ ، بعد أن تعرض لتفسير  
الآيتين السابقتين :

« فمن تأمل الآيتين السابقتين علم أن إباحة تعدد الزوجات في الإسلام ،  
أمر مضيق فيه أشد التضيق ، كأنه ضرورة من الضرورات التي يتاح  
لمحتاجها ، بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن والنجور ، وإذا تأمل المتأمل  
مع هذا التضيق ، ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفاسد ... جزم  
بأنه لا يمكن لأحد أن يرى أمة فحشا فيها تعدد الزوجات ، فإن البيت  
الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ، ولا يقوم فيه نظام ،  
بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت ، كأن كل واحد منهم عدو  
للآخر ، ثم يجيء الأولاد بعضهم لبعض عدو ، فمفسدة تعدد الزوجات  
تنتقل من الأفراد إلى البيوت ، ومن البيوت ، إلى الأمة ، .  
وبعد أن تحدث الأستاذ الإمام عن المسأبة التي تشعلها إباحة تعدد  
الزوجات في البلدان الإسلامية قال :

« ... أما والأمر على ما نرى ونسمع ، فلا سبيل إلى تربية الأمة مع  
فشو تعدد الزوجات فيها ، فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة خصوصاً

الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر ، وعلى مذهبهم الحكم ، فهم لا يسكرون  
أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم ، وأن من أصوله منع الضرر  
والضرار ، فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن ، لم تكن تلحقه فيما قبله ،  
فلا شك في وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحالة الحاضرة : يعني قاعدة  
درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

والمتعصبون دائماً ينساقون وراء عواطفهم الدينية ، دون أن يفقهوا  
فلسفة التشريع ، فإنه يرضيهم أن يساء إلى التشريع الإسلامي ، بسبب  
تصرف الجهلة من المسلمين ، ولا يرضيهم أن يضرب على أيدي هؤلاء  
الجهلة صونا لسمعة الاسلام .

وكما أن الطلاق رخصة للبضطر ، فإن تعدد الزوجات رخصة أيضاً  
للبضطر ، ولا ينال كليهما إلا المحتاج لحسب .

وفلسفة التشريع الإسلامي اقتضت أن تكون رخصتا الطلاق والتعدد  
رحمة ومخرجا من الضيق والحرج ، فلو لم يُبَّحِ الطلاق والتعدد للبضطر ،  
للجأ إلى قتل زوجته أو رميها زورا بالزنا ليتخلص منها ، وإذا لم يلجأ  
إلى هذا أو ذلك ، كتب عليه أن يحيا حياة ملؤها التعاسة والشقاء ...

والذي لم يوفق في حياته الزوجية : واستحال تقويم أخلاق زوجته  
يجد من الطلاق مخلصا منها ، والغنى الذي تزوج عاقرا ، أو اتاب زوجته  
مرض مزمن ، يجد من رخصة التعدد ما يهيء له حياة هنيئة سعيدة ،  
وبذلك تكون رخصتا الطلاق والتعدد رحمة ذات مغزى دقيق .

والأحمق الذي يستغل الطلاق والتعدد هدفا لاهوائه وحماقته ،  
وسلاحا يشهره في وجه زوجته كلما طاب له ذلك ، ليس جديرا بهاتين  
الرخصتين ، ولا مستحقا لهما .

## تحرير الفصل :

وهذه هي المشكلة الثالثة ، أو القضية الثالثة ، وهي أخرى بأن يطلق عليها كلمة قضية ، المدعى فيها المجتمع الإسلامي ، والمدعى عليه كتيبة المتعصبين ، والقاضي الإسلام ، والشعب المسلم النظارة .

يرى المنادون بتحديد النسل ، أن هذا التحديد ضروري للبلاد الإسلامية التي تعاني آلام الفاقة ، ومتاعب الفقر ، لرفع مستوى المعيشة بين شعوبها من ناحية ، ورفع مستواها الصحي من ناحية أخرى ، ولهؤلاء منطقتهم الواقعي ، وفي أيديهم حجة قوية من الإحصائيات الرسمية ، وتشخيصات حالات الشعوب .

ويثور المتعصبون متهمين دعاة التحديد بالكفر والزندقة ، والمروق من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية ، وليس لهم منطوق ، وليس في أيديهم حجة ، غير هذه الثروة العرجاء ، وقد يكون في جانبهم الحق ، ولكن تعصبهم الطائش يجعلهم دائماً عاجزين عن تكييف هذا الحق ، فليس أقرب إلى ألسنتهم من عبارات الكفر والزندقة والمروق ، يقذفون بها دون أن يلقوا لها بالا . . . وكفى ، وهذه العبارات لا تقوم حجة ، ولا تصلح منطوقاً .

استمع إلى هؤلاء المتعصبين ضد فكرة التحديد ، وهم يقولون : لماذا يحدد النسل ، والرسول يقول : تناكحوا تناسلوا فإنى مباح بكم الأمم يوم القيامة . . . ؟ ، فإذا كان خشية الفقر . فإله تعالى يقول :

« وفي السماء رزقكم وما توعدون . . . »



ولكنهم نسوا أن الرسول أخبر في الحديث الصحيح ، أن الأمم  
لن تتكالب على المسلبين ، وإن يدب الضعف إليهم ، إلا وهم كثرة كغشاء  
السيل ، ونسوا أيضاً أن الرسول عني بالتكاثر المحوط بالقوة ، لا التكاثر  
المهلهل الذي هو غشاء كغشاء السيل ، ونسوا ثالثاً أن يفقهوا أن فلسفة  
الآية الكريمة لا تتفق مع منطقتهم . وحاشا أن تدعو إلى التواكل  
والدعة والخمول ، لأن الله لا يسوق الرزق إلى المتواكلين الخاملين ،  
ولكنه يهبه للنشطاء العاملين ، ولعلمهم لم يقرءوا أن الخليفة عمر رأى  
جماعة متسكعين بالمسجد . فسألهم من أتمم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ،  
فعلاهم بالدرة ، وقال لهم : بل أتمم المتواكلون لا يقعدن أحدكم عن طلب  
الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً  
ولا فضة . . .

لقد كتب بعضهم يندد بتحديد النسل ويقول : إنه كفر وعدم ثقة  
بالله عز وجل . . . وما إلى ذلك .

ومن الطبيعي أن هذا وأمثاله أحق من أن يفقهوا أى شيء ، وكأنهم  
لم يروا قط بقوله تعالى : بل الإنسان على نفسه بصيرة . . .

كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، يدخر قوت عامه وأكثر  
من باب الحيلة ، فهل كان غير واثق بالله عز وجل ، وهل الاقتصاد الذي  
يقول عنه الرسول إنه نصف المعيشة ، يعتبر أيضاً عدم ثقة بالله عز وجل ؟  
ولكنه الحق . . . والحق وحده . !

إن من أهم مؤهلات الزواج القدرة على الإنفاق ، والقرآن نفسه  
صرح بهذا ، « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله . »  
وكذلك الحديث الصحيح : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء . . وجاء = وقاية

إذا كان الإسلام ينصح العاجزين عن تبعات الزواج وتكاليفه بالصبر ، وهو السنة المرغب فيها ، والوسيلة إلى التناسل ، أفليس هذا التناسل أجدر بالصبر عنه ، مادام رب الأسرة غير كفء للقيام بأعباء النسل ؟ حضرت ذات مرة مجلساً ضم شرذمة من المتدينين ذوى العاهل المترافضة ، لإنهاء نزاع قائم بين أب جاهل وابن متعلم ، فألب الذى دخل فى العقد الثامن من عمره ، يأتى إلا أن يتزوج فتاة صغيرة عذراء ، ووجته أنه حر فيما يشاء ، رغم أنه له من البنين والبنات جيشاً كبيراً ، ورغم أن دخله محدود بحيث لا يقوم بأكثر من اثنين ، إذا عاشا عيشة متواضعة .

وقال الابن المتعلم : إن والدى لا يقدر للأمور قدرها ، فإذا ماتزوج عذراء ضم إلى جيشه بضعة نفر ، وبالطبع سوف يضع نفسه ، ويضعنا معه فى حرج لا طاقة لنا به ، وماذا لو تزوج ثيباً عاقراً تصلح من أحواله ، وتقوم بخدماته ، ولا تعيش معنا إلا عبئاً خفيفاً ، وأناموظف بسيط ذو راتب محدود ، يضطرنى إلى الصبر الواسع عن الزواج . ولا أقوى إذا ما قدر لى الزواج ، على أن أعين جيش والدى الحاضر والمستقبل !

ولم أكد أبدى تأييدى لمنطق الابن المثقف العاقل ، حتى راحت العاهل تضطرب وتهتز ، والألسنة تعبر عن هذه العاهل ، بأن هذا كفر ، فأنه موجود ، لا يخلق نفساً إلا ومعها رزقها ، وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها . . !

قلت لهذه العائمت : إن الله منحنا عقولا نفكر بها ونقدر للأمور قدرها ، ومن العقل أن يكيف الإنسان منا حياته جهد طاقته ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ...

ولم تستطع ثقافتنا ولا منطقنا أن يقنعا العائمت الموقرة ، وانسحبنا تودعنا نظراتهم الساخرة .

إننا لا نقر قانوناً جامداً يحتم على الشعب على اختلاف حالاته تحديد النسل ، ولكننا نريد تشريعا حازما يعامل كلا حسب حالته ، المادية والصحية والجنسية ، حتى يخفف من حماقات الجهلة المتنطعين ، ولا يدع هؤلاء الحمقى يقدفون إلى وجه البسيطة نسلا ضعيفا هزيبا ، لا يمت إلى الآدمية إلا من ناحية الشبح .

كان أصحاب محمد عليه السلام يعزلون والقرآن ينزل ، ولم ينههم عن العزل (ص) كما ورد في الصحيحين ، ولذا قرر الفقهاء ، أنه يجوز للرجل أن يعزل إذا كان هناك ضرر على المرأة من الحمل ، فيكون مبدأ تحديد النسل مما يقره التشريع الاسلامي .

ولكن المتزمتين لا يقرون هذا المنطق ، ويتمونه بالزندقة والمروق وفقد الثقة في الله عز وجل ...

---

إن هذه المشكلات التي أصبحت أشبه بالمآسي ، لم ينمئها في البلاد الاسلامية ، إلا الاستخفاف بالتعاليم والتوجيهات الدينية الرشيدة ، والتزمت الفكرى والتنطع المزرى . .

فوق بنى الزواج على أساس إسلامي صحيح ، لما دب إلى الزوجين

الشقاق ، الذي إما أن يؤدي إلى الطلاق ، وإما أن يؤدي بالزوج إلى  
التزوج من أخرى ، وفي كلتا الحالين قلق يصيب الأسرة ويهدد  
استقرارها .

فتصور مثلاً شاباً يُزوّج بفتاة دون أن يراها ، أو يعرف شيئاً عن  
أخلاقها ، ثم يفاجأ بشبهها ساعة أن تزف إليه ، ويترتب على ذلك إذا  
رأى فيها غير ما كان يؤمل ، أن يصاب بعقدة نفسية مزمنة ، لا ترحمه  
ليلاً أو نهاراً .

ويصر ولى أمر الفتاة على ألا تُترى إلا في ليلة زفافها ، ويحرم على  
فتاها حتى بعد عقد زواجها أن يشاهد شبهها ، لأن تقاليد الأسرة تحرم  
هذا ... تقاليد الأسرة تحرم أن يرى الشاب شريكه حياته حتى يقيم بناء  
أسرته على أساس من الاطمئنان ، وتقاليد الإسلام لا ترى مانعاً من  
أن يرى الشاب خطيبته حتى يبني بها واثقاً منها مطمئناً إليها . .

عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة ، فقال النبي (ص) انظر إليها  
فإنه أخرى أن يؤدم بينكما ، رواه الخمسة إلا أبا داود .

وعن جابر قال : سمعت النبي (ص) يقول : إذا خطب أحدكم المرأة  
فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل ، — رواه أحمد  
ولكن تقاليد الأسرة في هذا الصدد أعرز لديهم من تقاليد الإسلام الذي  
يدعون التعصب له ، والغيرة عليه .

وهناك مأساة أخرى ، فإن كثيراً من الآباء يصرون على اعتبار  
بناتهم سلعا ، من حقهم أن يتصرفوا فيها كيفما شاءوا ، ومن حقهم أن  
يفرضوا عليهن الأزواج الذين يروقون لهم لا لهن ، وكأنهم هم الذين

يؤسسون مع الأزواج الأسر ، ويشاركونهم الحياة ، ولو تذوق هؤلاء الآباء شيئاً من تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، لادركوا أن رضا الفتاة شرط مقدس من شروط صحة الزواج ، ولادركوا أن الإسلام لا يقر أن تكون الفتاة سلعة يتصرف فيها والدها كيفما أراد ، ويفرض عليها الزوج الذي يرضاه هو ، ولو كان وراءه رضا غرضاً أو مطمعا .

قال رسول الله (ص) : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن ، قالوا : يا رسول الله وكيف إذن ، قال : أن تسكت ، متفق عليه

وقال : (ص) : « السَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبَكَرُ تَسْتَأْذِنُ فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صَمَاتُهَا » - مسلم وغيره

هذا هو الإسلام يعترف بحق البنت في اختيار شريك حياتها ، أو على الأقل في الموافقة على شريك حياتها ، ولا يعتبرها سلعة في يدوليها ، بل إن رسول الله - صلوات الله عليه - رد كل زواج حدث على رغم من الفتاة ولم تقره .

عن خنساء بنت خدام الأنصارية ، أن أباهما زوجها وهي ثيب ، فكرهت ذلك ، فأنت رسول الله (ص) فرد نكاحها ، البخاري وغيره وعن ابن عباس ، أن جارية بكرا أتت رسول الله (ص) فذكرت أن أباهما زوجها وهي كارمة بخيرها النبي ، أحمد وغيره

وفي مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر قال : توفي عثمان بن مظعون ، وترك ابنة له من خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأوقصي ، وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون ، قال عبدالله وهما خالاي ، فخطبت

إلى قدامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوجنيها ، ودخل المغيرة بن  
شعبة يعني إلى أمها ، فأرغبها في المال فحطت إليه ، وحطت الجارية  
إلى هوى أمها فأبثا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله ( ص ) فقال  
قدامة : يا رسول الله : ابنة أخي أوصى بها إليّ فزوجتها ابن عمتها ،  
فلم أقصر بها في الصلاح ، ولا في الكفاهة ، ولكنها امرأة حطت إلى  
هوى أمها ، قال . فقال رسول الله ( ص ) : هي يتيمة ولا تنكح  
إلا بإذنها ، قال : فانتزعت والله مني ، بعد أن ملكتها فزوجها  
المغيرة بن شعبة . .

وهناك مأساة ثالثة من مآسي الجهل ، ألا وهي مسألة الكفاهة ،  
فإن الكثيرين يتعصبون لهذه الجهالة ، ويحاولون حصرها في الحسب  
والنسب والجاه ، وهي ألوان لا يعترف بها الإسلام في قليل أو  
كثير ، أما الكفاهة في التقوى والدين — وهما الأصل — فلا قيمة  
لها في نظر الطبقات الأروستقراطية . .

ولو أن المسلمين أقاموا للاستقامة والدين وزنا في تزويج بناتهم ،  
والشباب المسلم أقام للخلق والدين وزنا عند ما يريد الزواج ، لكان  
الحال على غير ما نرى ، ولتلاشى الطلاق من المجتمع ، ولا تقرضت فوضى  
التعدد التي بلغت القمة .

سئل أحد الأدباء المبرزين في مصر — وقد توفيت له زوجة أجنبية  
فتزوج غيرها أجنبية أيضا — سئل عن حرصه على الزواج من الاجنبيات  
فأجاب : إن الأجنبية حين يتقدم اليها من يريد الزواج منها ، لاتسأل  
عن حسبه ولا نسبه ولا جاهه .

أما الشقيقات المسلمات ، فإن الحسب والنسب والجاه ... هي المؤهلات التي يجب أن يحملها كل من يريد الزواج منهن ..

وكم شهدت المحاكم الشرعية مخازي يندى لها الجبين عرقا ، من جراء دعاوى الطلاق بحجة عدم توفر الكفاءة بين الزوجين ، الكفاءة في الحسب والنسب والجاه ، ولا زال شبح قضية المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، الذي تزوج من كريمة البكري تقيب الأشراف ، وطلقت منه في ساحة المحكمة الشرعية ، بحجة عدم توفر الكفاءة في النسب بينه وبين السادة الأشراف — لا زال شبح هذه القضية دليلا على الرجعية والتزمت باسم الإسلام .

و إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، هذه فلسفة الإسلام التي تعتبر الاستقامة والدين مقياسا للكفاءة ، والكفاءة التي حصروها في الحسب والنسب ليس لها مكان في الإسلام الصحيح المصنئ .

والذين يتعصبون للكفاءة في الحسب والنسب ، يثرثرون بحديث الدارقطني ، لا تُتَكَحوا النساء الا من الأكفاء ، وعلى اعتبار صحة الحديث ، فلم يعين الحسب والنسب في كفة الكفاءة ، ولسنا في حاجة إلى هذا التوضيح ، اذا علمنا أن الحديث ضعيف لا أصل له ، ولا يحتاج بمثله ، كما ذكر ذلك ابن عبد البر في الجزء السادس من كتاب المغني . .

وحتى تضعيف ابن عبد البر للحديث لسنا في حاجة إليه ، لأن منطق الإسلام الذي أعلن المساواة من أول لحظة يضعفه ، والواقع يجعله واهيا لا يعتد بمثله .

فالنبي عليه السلام زوج مولاه زيدا ، ابنة عمته زينب بنت جحش ،

والقصة في القرآن الكريم ، وخطب فاطمة بنت قيس من أشراف قريش :  
معاوية والمغيرة بن شعبة ، وأسامة بن زيد ، فاختار لها الرسول  
أسامة ، والحديث متفق عليه ، وقد زوج حذيفة ( بنت أخيه هنداً  
ابنة الوليد ) لسالم وهو مولى لامرأة من الأنصار ، والحديث ذكره البخاري  
وقد كانت أخت عبد الرحمن بن عوف تحت بلال ، والحديث رواه  
الدارقطني ، وقد قال عليه السلام في حديث متفق عليه :  
« من كانت عنده جارية فعلمها ، وأحسن تعليمها ، وأحسن إليها ، ثم  
أعتقها وتزوجها فله أجران .. »

هذه أدلة قاطعة ، لا تحتاج إلى جدل أو نقاش ، فهل يفقه أولئك  
المتعصبون . ؟

وهناك مأساة رابعة : مأساة التربية ، فنحن أينا إلا أن نحارم الغرب  
في السفور والاختلاط والمجون ، وهذه المخازي ، شجعت الشبان والشابات  
على الجرأة ، حتى ولو أدت إلى الانهيار الخلقي ، وكثيراً ما يكون هذا  
الانهيار دافعاً إلى الزواج ، ومحال أن يكتب لأمثال هذا الزواج شيء  
من الاستقرار والنجاح .

وهذه المخازي : السفور والاختلاط والمجون . كثيراً ما تنتزع الزوج  
من زوجته ، كما تنتزع الزوجة من زوجها ، بوسائل التخدير والإغراء  
وغيرهما ، ولن تكون النتيجة إلا انهيار الأسر بمفعول الطلاق .

° ° °

إن مشكلات الطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، مشكلات  
مستعصية يهدد خطرهما المجتمعات في سائر بلاد المسلمين ، دون أن تسترعى  
أنظار علماء الدين ، أو تشير أفسكارهم واهتمامهم ، وحين فنكر دعاة



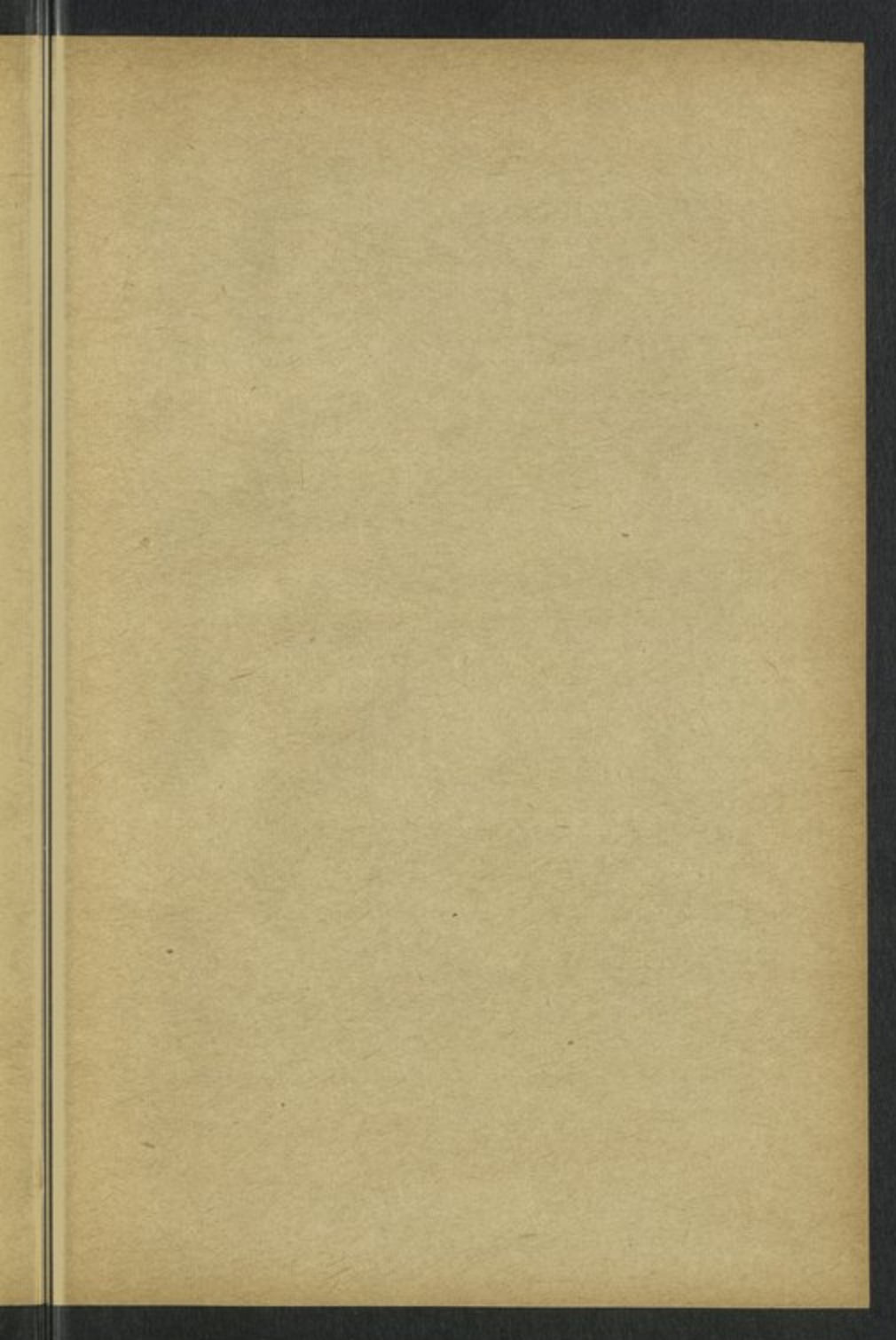
الإصلاح في إيجاد علاج لهذه المشكلات ، نارت نأثرتهم باسم الدفاع عن التشريع الإسلامي ... وكان أكرم لهم والإسلام ، لو أنهم قدموا اقتراحات يعتمدها الإسلام لتدرك هذا الخطر ، قبل أن يتقدم دعاة الإصلاح بأرائهم للمسؤولين وليجدوا منهم كل عناية .

حين دعا هؤلاء الدعاة إلى تقييد الطلاق وتعدد الزوجات إلا يأذن من القاضي ، نارت نأثرة الغيورين على الإسلام ، وقالوا هذا كفر ومروق من الإسلام ، ولو كان في هذا التقييد صون للأسر من الانهيار وللطفولة من التشرد ، وتمهيد للمستخفين برخصة الاسلام في الطلاق وتعدد الزوجات .

وإذا قيل لهم : إن الزواج وتعدد الزوجات رخصة أساء الجهلة استعمالها ، فيجب أن يسلبوها ويحرموها ولا علاج إلا بذلك ، قالو لك : يجب أن يهذب الجهلة ويعلموا ، حتى يحسنوا استعمال هاتين الرخصتين ، ولو كانوا يقتررون على منطقتهم ، لما كان هناك داع إلى وجود الحدود ، اكتفاء بعبطة السارق حتى لا يسرق ، والزاني حتى لا يزني ...

و حين أثيرت قضية تحديد النسل ، نارت نأثرة الغيورين على الإسلام أيضا ، وقالوا هذا كفر... هذا إلحاد ، فإذا طالبتهم بالعلاج الذي يرضونه قالوا : وفي السماء رزقكم وماتوعدون ، ولو كانوا يقتررون على منطقتهم ، لما كان هناك داع إلى أن يسمى الناس ، أو يكدحوا في الأرض بحشا وراء الرزق : ولو وقف دولاب العمل ، وتعطلت سنن الحياة .

ولله في خلقه شؤون . !



الشعوب... لا الحكومات

## الشعوب ... لا الحكومات

المسلمون في معظم البلاد الإسلامية، أصبحوا لا يثقون كثيراً في علماء الدين، لا سيما في الأعوام الأخيرة، بعد أن أصبح هؤلاء العلماء يسخرون الإسلام لمصلحة الحكومات والاستعمار، بدل أن يجعلوه وسيلة لإيقاظ الشعوب والنهوض بها.

والذي لا ريب فيه أن مكانة علماء الدين جزء من مكانة الإسلام نفسه، والتقدير الذي يناوئه جزء من تقدير الإسلام نفسه، وإن يكون للإسلام المكانة والتقدير اللذان يليقان به، إلا إذا كان لعلمائه مكانة وتقدير في نظر المسلمين.

ونحن لا نؤمن «رجال الدين»، ولا بما يسمونهم «علماء الدين»، لأننا نعتبر كل مسلم «رجل دين»، وكل متفقه «عالماً دينياً»، فلا يقر الإسلام علماء دينيين رسميين، ولا رجالاً دينيين رسميين، بل يميز لكل مسلم — مهما كان شأنه — أن يتحدث باسم الإسلام ما دامت له القدرة على التحدث عنه.

نحن مضطرون إلى أن نتحدث عن وضع لاحتمال لنا فيه، والمسلمون مضطرون أيضاً إلى أن يحاسبوا علماء الدين حساباً عسيراً لا رحمة فيه، ومضطرون أيضاً إلى أن تشرّب أعناقهم لإيهم كلما ادلهمت الخطوب وفدحت الآمور؛ لا لينظروا منهم خيراً، وإنما ليسجلوا عليهم كل ما يهبط بأقدارهم ويحط من منزلتهم.

في مصر مثلاً علماء الدين، وهم أكثر من أن يحصوا أو يعدوا، وقد

عاصروا عهد الأسرة العلوية منذ أن تربع كبيرها على العرش ، إلى أن طرد آخر ملك عربيدها ...

وعهد هذه الأسرة يعتبر من أظلم العهود التي شهدتها مصر ، وأشدّها ظلماً وظلاماً عهد « فاروق » ، فهل أثبت علماء الدين في يوم من الأيام أنهم جديرون بذرة من الثقة والتقدير ... ؟

كانت دروس شيوخ الأزهر وكبار رجاله تترج بالملق البذيء ، والنفاق الرخيص للعريده المتربع على العرش ، وكانت أقل العبارات ملقاً ونفاقاً هي التي تصفه « بالملك الصالح ، ناصر الإسلام ورافع لوائه ، ومعل كلبته ...

وإليك نموذجين من ملق شيوخ الأزهر الموقرين :

« ... أصبح الناس في الخائفين ولا حديث لهم إلا أنعم الفاروق وأياديه البيضاء على العلم والدين ... أما رعاية جلالته للدين وحرصه على نشره فإنه — شهد الله — أحياناً سنن السلف الصالح في الإقبال على العلم والدين ، ومصر كلها بل والعالم الإسلامي أجمع يشهد ...

« إن مصر في هذا اليوم السعيد لتباهي الأمم بما حباها الله من فضلك وعنايتك وفيض نوالك ، فقد سطرت بجليل أعمالك وعظيم ما ترك ، صفحة خالدة في تاريخها ، هي في الحق أبهى صفحاتها وأجلها قدراً ... !! (من حديث الشيخ الشناوي شبيخ الجامع الأزهر في احتفال الأزهر بعيد

الميلاد الملكي عام ١٩٤٩ )

« وحق للأمة المصرية الكريمة أن تحتفل بأعياد الفاروق العظيم ، وأن تشاركه الفرح بما أتاه الله من نعمته ، وأن تحمد الله وتشكر له على أن ربط عزها ومجدها بجلالة الملك السعيد الموفق ... »

(من حديث الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر في احتفاله بعيد الميلاد الملكي عام ١٩٥٠ ) .

ولم يكن بعض أساتذة الجامعات الأزهرية أقل ملقا من شيوخ الأزهر ؛ لا سيما الشعراء منهم ، وإليك نموذجا لاستاذ بكلية اللغة العربية :

ملك تجلى الله في إبداعه العلم من أركانه والمنبر  
والدين والدنيا لديه تلاقيا فكلهما فيه ربيع مزهر  
ويزداد عجبك أو أملك ، إذا علمت أن الاحتفال بذكرى مولد النبي  
كان بدعة في نظر الأزهر ... أما السنة الحسنة ، فهي الاحتفال بمولد  
الفاروق الذي حرص الأزهر على الاحتفال به كل عام !..

لقد ظل الملك العرييد في دوفيل ، أسابيع يصيف مع عشرات من  
الراقصات العالميات ، فكانت تفتد إليه البرقيات من وكيل الأزهر ،  
وباسم الأزهر - طبعا - تمنى له طيب الإقامة وسلامة الوصول ...

° ° °

كنت أتحدث مع بعضهم قائلا : إن الملك يستطيع أن يفرض علينا  
السكوت ، ولكنه لا يستطيع أن يفرض علينا أن نناق ، والذين قدر  
لهم أن يسكتوا ارتكبوا أخف الجريمتين ، أما الذين قدر لهم أن ينافقوا  
فقد ارتكبوا الجريمتين : جريمة السكوت عن الأوضاع الفاسدة ،  
وجريمة النفاق .

ولم يكن هناك جواب اللهم إلا هز الروس ...  
ظل جماعة منهم لم يقبلوا أن يلوثوا صفحاتهم بكلمة نفاق للعرش أو  
الجالس عليه ، ولم يستطع العرش ولا الجالس عليه أن يمنعا عنهم  
لقمة العيش ، أو ينفيهم إلى بلاد واق الواق .

والذين نافقوا منهم لم يدفعوا إلى النفاق دفعا ، بل ولم يوجه إليهم  
شفويا ولا تحريريا أن نافقوا ، ولكنهم هم الذين سعوا زحفا على

بطونهم ، ليقدموا كرامتهم وكرامة الدين معها . قرباناً إلى العرش والجالس على العرش .

ونحن لم نكن نملك أن نفرض عليهم الكرامة فرضاً ، لأن الكرامة إحساس ينمو في النفس ، ولا يفرض عليها ، وما كنا نملكه هو أن نحول دون استغلالهم الدين ، وتسخيرهم الإسلام لأهواء العرش والحكومات وشركات الاحتكار ، والرأسمالية القذرة والأقطاعية الجائرة . ولكن ما حيلتنا والرأى العام الإسلامي يومئذ كان يغط في نومه ، ويأبى أن يتخلى عن صمت القبور ؟

إن لون الحكم في معظم دول المسلمين ديكتاتوري غاشم ، يستعبد الشعوب المسلمة استعباد السادة للرقيق ، ويستغلها استغلال الرعاة لقطعان الغنم ، ويفرض هذا الحكم الجائر على الشعوب المسلمة السكبت والسكينة والآنزواء . . . فهل رأينا ثورة لعلماء الدين ضد أي لون من الحكم الجائر في دولة مسلمة ؟ . . . اللهم . . . لا وألف لا . . .

علماء الدين في بلاد المسلمين لهم القدرة على أن يجعلوا الإسلام مطية ترغبات الحكومات ، وأن يجعلوا هذا الدين الضائع ملبياً لكل اتجاهات هذه الحكومات سواء كانت خيراً أم شراً . . .

وعلماء الدين مثلاً في هذه الأيام يكثرون القول باسم الإسلام ، عن الفدائية والتحرير ، والحرس الوطني ومشروع الشجرة . . . وما إلى ذلك من المعاني التي لم يقدر لها أن تبرز إلى حيز الوجود إلا بعد حركة الجيش . .

وأين كان الإسلام من هذه المعاني العظيمة قبل حركة الجيش ؟ ولا يمكن أن نسأل علماء الدين الموقرين لأنهم كما نعلم :

يريدون حيث يقدر لهم أن يريدوا . . . !  
وعلى كل فعلاء الدين مستعدون لأن يستجيبوا للبعاني الجديدة ،  
التي سوف تشرف على إبرازها حركة الجيش ، وفي الإسلام متسع  
لكل معنى . . .  
وخطباء المساجد مستعدون لأن يذيعوا على الناس ما يطلب منهم ،  
ولكنهم غير مستعدين لأن يشيعوا المعاني الإسلامية من تلقاء أنفسهم ،  
وبوحى من مهمتهم .

• • •

في العهد الإرهابي الذي أشاعه في مصر ، دولة الباشا السابق إبراهيم  
عبد الهادي ، خلال محنة الإخوان المسلمين ، استطاع كبار المشايخ وصغارهم  
أن يسخروا الإسلام لخدمة العهد الإرهابي المنقرض ، وفي الفترة التي  
صودر الإسلام في مصر مصادرة نهائية ، وكتب على الرأي العام أن  
يعلن تبرئه من الإسلام ، لم يستطع هؤلاء المشايخ أن يتأخروا لحظة عن  
إعلان رضائهم عن سجن الاخوان ، وتعذيبهم وتشريد أسرهم ، والتسكيل  
بهم تسكيلا لم يسبق له مثيل .  
وحين قتل النقراشي أخرجت هيئة كبار العلماء بيانا للمسلمين ، تندد  
فيه بقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق . . .

وحين اغتيل الشهيد الأعزل ، حسن البنا ، اغتيلاً دينياً . التزمت  
الهيئة الموقرة الصمت ، ووضع أعضاؤها آذانهم داخل عمائمهم . . . وكفى  
في هذه الفترة الارهابية القاسية ، سافر فضيلة المفتي ( الأكبر ) مفتي  
الديار المصرية الشيخ حسين محمد مخلوف إلى أفاصى الصعيد ،  
وفي أشد أيام الصيف حراً — لا احتجاجاً على الارهاب المسلطة سيوفه على



أعناق وألسنة الشعب المصرى المكبوت ، ولا احتجاجاً على اضطهاد  
الاسلام الذى كتب عليه أن يصادر فى صدور المسلمين ، ولا على ما يقع  
على جماعة الاخوان المسلمين فى قاع السجون ، من ألوان التعذيب  
التي لم يشهد مثلها أحط العصور الوسطى همجية . .

ولئنما سافر إلى الصعيد ليطلع على الرأى العام من هناك ، بيان طويل  
عريض عن أحد شيوخ الطرق الصوفية ، الذى ادعى أنه المهدي المنتظر ،  
وراح يفند دجله وشعوذته ، واستطاع أن يمد الصحافة بمادة غزيرة عن  
مدعى المهدي هذا ، ظننا كفضيلة يالهاء الرأى العام وشغله عن شبح الارهاب .  
ويظهر أن كبار علماء الدين أرادوا أن يشايعوا فضيلة المقتى الأكبر ،  
فى استغلال الفرص لمساندة الحكومة فى إرهابها ، فما كادت تظهر قصة  
( توحيد ) أم المهدي . . حتى راحوا يدلون بالأحاديث المستفيضة فى هذا  
الميدان ، مفندين مزاعمها ، ومنددين بشعوذتها ، حتى لا يكونوا أقل  
قدراً من فضيلة المقتى الأكبر فى إلهام الرأى العام .

وحين حلت حكومة النقراشى بمصر ، جماعة الاخوان المسلمين ،  
بأمر سادتها الانجليز والأمريكان ، اختفت أشباح علماء الدين التي لم  
تقطع يوماً واحداً عن المركز العام للجماعة ، ولينها اختفت لتلتزم  
ججورها خشية أن يصبها رشاش من إرهاب الحكومة ولكنها برزت  
فى ميادين أخرى ، تكسب وتخطب ، منددة بخروج الجماعة عن هدفها  
الدينى ، واتخاذها الدين وسيلة لأغراضها السياسية .

أما شقيق المراغى شيخ الاسلام الأسبق ، حضرة مدير عام المساجد  
بوزارة الأوقاف يومئذ ، فقد كانت له صولات وجولات ، لم تتخط  
حدود بيوت الله عز وجل .

كان يجتمع بخطباء المساجد ويومهم بأن هناك مسابقة سوف تجرى  
لاختيار أحسن الخطب وأقواها ، وحتى لا يجهد الخطباء أذهانهم في  
اختيار الموضوعات المقصودة ، فقد كان الشيخ يبسر لهم مشقة التفكير ،  
ويوحى إليهم ببعض الآيات القرآنية ، التي تتفق مع أهواء الحكومة  
الإرهابية ، ومنها :

« قل بثما يأمركم به إيمانكم إن كنتم صادقين . . . »

أما قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في  
الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من  
خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة  
عذاب مقيم . »

فلم يكن لسمع المسلمون بهذه الآية إلا في محنة الاخوان المسلمين ،  
حين كان علماء الدين يرددونها في الاذاعة المصرية ، ومن فوق منبر  
رسول الله ، مصوبة إلى الاخوان المسلمين دعاة الحق والحرية والقوة . . .  
وقد لا يعلم الكثير من الشعب المصري أن أمثال هذه الآيات الكريمة :  
« قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . »  
« إن فرعون علا في الأرض ، »

« إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . . . »

هذه الآيات وأمثالها كانت محتفية تماماً من كتاب الله عز وجل ، خلال  
العهد البائد بمصر ، لأنه لم يكن من الذوق ولا من اللياقة أن تظهر هذه  
الآيات في عهد الملك ( الصالح ) السابق ، ولم يكذب يطرد الملك ( الصالح )  
من مصر ، حتى قدر لامثال هذه الآيات أن تتنسم نسيمات الحياة . . . !  
ويوم أن ولد العيس ، أحمد فؤاد ، نجل ملك مصر السابق فاروق ،

كتب فضيلة المفتي (الأكبر) ، الشيخ حسين مخلوف في إحدى الجرائد اليومية بنى العالم الإسلام بولى العهد ، وأكد في حديثه المنشور ، أن الإسلام يقر الملك الوراثي . . .

واضطربت العهائم الضخام يومئذ ، ولكن الألسنة انعقدت داخل أفواهها ، واكتفى أصحاب العهائم بأضعف الإيمان .

وعبقرية المفتي الأكبر لم تتركز داخل حدود الديار المصرية التي تشرفت بإسناد منصب إفتائها إليه ، بل استطاعت أن تنفذ إلى داخل حدود بلاد الحجاز ، ففي العام الماضي قصد فضيلته الأرض الطيبة للعمرة ، ولم يكده يعود من هناك حتى راح يكتب في إحدى الصحف اليومية ، متحدثاً عن الملك عبد العزيز آل سعود الذي أعاد « فعلاً » عهد عمر بن الخطاب ، ولفضيلته عذره ، فإنه هناك ( أى بالأرض الطيبة ) لم ير إلا وجوه الأمراء المترفين والحكام المحظوظين ، ولم يقدر لفضيلته أن يغادر السيارة « الكاديلاك » ، التي لزمته منذ اللحظة الأولى لتشريفه الأرض الطيبة ، إلى اللحظة الأخيرة التي حرمت بعدها بركته ، لم يُقدّر له أن يغادر السيارة « الكاديلاك » ، حتى يرى أشباح الشعب الهزيلة ، التي تنطق بالجوع والحرمان ، وحتى يرى عشرات الأيدي تتنازع الفئات ، وعشرات الألسنة تتظف العلب الفارغة ، خلف قصور السيادة من الأمراء وغير الأمراء .

إن المعروف عن أمريكا أنها أعدى أعداء الشيوعية . وهي لا تخشى على بلادها الشيوعية ، وإنما تخشاهما على دول الشرق الإسلامي ، هذا الشرق الذي يجب أن يظل إلى الأبد سوقاً رائجة لتجارتهما ، وبقرة حلوباً لمطامعها ، ولذلك فهي حريصة كل الحرص على أن تحول بين الشيوعية وبين الشعوب الشرقية ، بقدر ما تستطيع من جهد ، وهي لا تسكتني

بتسخير حكومات الشرق الخاضعة لنفوذها في اضطهاد الشيوعية اضطهاداً  
مريراً ، وإنما تحاول الاستعانة بالإسلام ليقوم بدوره في مكافحة  
الشيوعية وأخطارها ، ولا أعتقد أن أمريكا تلاقى ذرة من الصعوبة  
في تسخير الإسلام ، لأن علماء الدين في كل بلد - على وجه التقريب -  
خاضعون لإرادة حكوماتهم ، وهم من تلقاء أنفسهم لم يألوا - ولن  
يألوا - جهداً في استعداد الإسلام على هذه الشيوعية ، ولم يحدث في  
الحقبة الأخيرة من تاريخ مصر ، أن تولى عالم ديني منصباً رسمياً مهماً  
في الدولة ، دون أن يعلن رأى الإسلام في الشيوعية ، وأنها كفر  
وزندقة وإلحاد .

ويعلم الله أن علماء الدين هؤلاء ، لا يسكادون يفقهون ذرة واحدة  
عن الشيوعية ، وأن معلوماتهم عنها لاتتعدى نشرات السفارات الأمريكية  
في الشرق .. !

إننا لسنا شيوعيين ، ولن نكون في يوم من الأيام شيوعيين ، لأننا  
مسلمون ، ولن نتحول عن الإسلام لحظة واحدة : والذي يفعم صدورنا  
ألماً ، أن يسخر الإسلام لأهواء أمريكا .. أمريكا التي قامت بدور القابله  
في اللقيط الاسرائيل ، والتي خذلت مصر في كفاحها ضد إنجلترا ، والتي  
أيدت - ولا زالت تؤيد - جرائم فرنسا في شمالي أفريقيا الاسلامي .

• • •

استعان الاستعمار في الشرق الاسلامي بالاسلام ، وصدرت كثير  
من فتاوى العلماء ، بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ... لاجهاد  
الاحتلال الذي يمتص دماء المسلمين .  
واستعان الأقطاع في الشرق الاسلامي في الشرق بالاسلام ، وصدرت

فتاوى علماء الدين بتحريم تحديد الملكية والامتلاك التي نادى بها الصحافي  
الجليل أبي ذر الغفاري . . .

حتى الشركات الأمريكية الاحتكارية في مصر والشرق ، استعانت  
بالإسلام يوماً ، وأقرب الأمثلة إلى أذهاننا ، شراب « البيسبي كولا » ،  
فقد أشاع بعض الأطباء أن بهذا الشراب مادة من لحم الخنزير ، وغيرها  
مخدرة ، وسرعان ما هبط الإقبال على هذا الشراب حتى أوشكت الشركة  
أن تغلق أبوابها ..

ولكن الشركة « الموقرة » لم يفتها أن تعد لكل أمر عدته ، ولم تختر  
نجل مفتي الديار المصرية « الشيخ حسنين مخلوف » ، موظفاً كبيراً ،  
إلا لتلجأ إلى والده في يوم من الأيام ...

وشمر المفتي عن قريحته فأفتى بحل هذا الشراب ، وتقبل الرأي العام  
الفتوى بالسخرية الصامتة والامتناع الرزين ، وهو لا يملك غيرهما ...  
وكم في الجعبة من مهازل ومهازل ! ...

o o o

هؤلاء الناس اعتبروا الإسلام كمية مهمة ، قدر عليها أن تركز فوق  
الأرفف ، إلى أن يحتاج إليها .

كأنهم لم يقدر عليهم بعد أن يدركوا ويفقهوا أن الإسلام معان حية ،  
يجب أن تنشر في كل زمان ومكان ، ومن أجل الوطن والشعوب لا من  
أجل عيون الحكومات وأصحاب السلطان .

عندما اتخذت ثورة الجيش شعاراً لها : الاتحاد والنظام والعمل ،  
هرع علماء الدين يتحدثون عن هذا الشعار في الإسلام ، وأوشكوا أن  
يضغطوا على كل آية قرآنية ، وعلى كل حديث نبوي ، لتكون الآيات

والأحاديث كلها ، في خدمة هذا الشعار الجديد ...  
ألم يكن الإسلام مستعدا قبل حركة الجيش ، ليخرج لنا من الكتاب  
والسنة ما يرفع من قدر هذا الشعار الموقر الجليل ... ؟  
ولكن علماء الدين يريدون حيث يُقَدَّر لهم أن يريدوا !

o o o

كان في العصور الإسلامية الأولى علماء دين ، ولكن لم تكن كرامتهم  
على ألسنتهم يبذلونها في أي وقت ، ولا فوق أيديهم ، يقذفون بها متى  
شاءوا — بل كانت ممتزجة بأرواحهم وقلوبهم ، يضحون بأرواحهم ،  
ولا يضحون بها ، ويبذلون دماءهم ، ولا يبذلون ذرة واحدة منها .

وكان في العصور الإسلامية الأولى ملوك وحكام بلغوا القمة من  
الجبروت والسطوة ، ولكنهم لم يستطيعوا يوما أن يسيطروا على علماء  
الدين كلهم ، ليسخروا دين الله لاهوائهم ورغباتهم .

غاضب العزيز بن عبد السلام سلطان دمشق ( الصالح اسماعيل ) لأنه  
استعان بالإفرنج ، ومنحهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف ، فأنكر عليه  
الشيخ ذلك ، وترك الدعاء له في الخطبة ، فغضب السلطان عليه ، فقرر  
الهجرة إلى مصر ، وفي منتصف الطريق ، وصل إليه رسول السلطان  
يرجوه العودة إلى دمشق ، وقال له الرسول ، ما عليك إلا أن تقبل يد  
السلطان ، وتعود المياه إلى مجاريها .

فأجابه الشيخ يابا :

يا مسكين : والله ما أرضاه أن يقبل يدي ، فضلا عن أن أقبل يده ...  
أتم في واد ، وأنا في واد ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به ،

ولقي سلطان مصر الصالح أيوب ، فسأله أحد تلاميذه عن لقائه  
السلطان ، فأجاب :

« يا بني استحضرت هيبة الله ، فصار السلطان قدامى كالقط . ١ ،  
أفتى مالك أهل المدينة بمبايعة إبراهيم ، بعد أن بايعوا المنصور ،  
وقال إنكم بايعتموه مكرهين ، وليس على مكره يمين .  
وبعد ذهاب دولة بني أمية ، مُطلب من الأوزاعي رضى الله عنه ، أن  
أن يفتي بحل دماء بني أمية ، فأجاب بأن دماءهم حرام ، والسيف وصلت  
فوق رأسه . .

إن الفرق بين علماء الدين في العصور السابقة ، وبين علماء الدين في  
أيامنا كبير ، فأولئك كانوا يطلبون بدينهم رضا الله والآخرة ، وهؤلاء  
يطلبون بدينهم الزلفى للحكومات والدنيا . .

امتنع أبو حنيفة عن تولى القضاء للخليفة المنصور ، وأوذى في سبيل  
ذلك حتى مات ، وامتنع غيره ، لأنهم كانوا يرون أن الإمكانيات لا  
تتوفر لهم في إقامة العدل كما يرضاه الله تعالى .

أما علماء الدين في أيامنا هذه ... فإنهم يتكالبون على المناصب الرسمية ،  
وهم يعلمون أنهم يدفعون الثمن من دينهم وضائرهم وكراماتهم ... !!

## وبعد . . .

فإن الإسلام أصيل في نهضته ، خالص في جوهره ، تزداد العقول به ثقافة ، والأفكار رقىا ، ولا تزيده العقول ثقافة على ثقافته ، ولا الأفكار رقىا على رقيه . . ونحن — حاشانا — أن ندعى تصفية الإسلام من زيف طبيعي في أصوله ، أو غش متأصل في معانيه ، ولكن الذي نحاوله هو تصفية الإسلام من زيف الحق به المتزمتون ، وغش الصقه به الكاندون من أعداء نهضته .

ونحن حين نحاول هذه التصفية ، لا بد لنا من عقول ناضرة ، وأفكار ناقية ، ولا تكفي هذه العقول والأفكار ، إلا إذا كان بجانبها قلوب تفيض غيرة وإخلاصا وتواضعا ، ونزاهة وعدالة . .

وبعد هذا وذلك ، لا بد لنا من جهات تعرض الإسلام عرضاً جيداً ، تجذب به الشيبية المثقفة ، وتحرك به العقول الراكدة ، وتضى به الافكار المظلمة . .

والعقول الناضرة والأفكار الثاقبة التي نريدها ، هي المتحررة من التزمت ، الخالصة من الجلود ، البريئة من الهوس .

تفقه أن الإسلام دين يسير مع الزمن المعتدل حيثما سار ، وتؤيد التطور السليم حيثما كان ، وتفقه أن الإسلام دين رقى ومدنية ، ودين مرونة ويسر ، وأن تشريعه السمع لم يوضع إلا لمصلحة البشر ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .



والقلوب التي نريدها ، هي المترجة بالغيرة المعتدلة — لا الثورة  
الطائشة ، وبالإخلاص المتزن — لا الغباوة المفزعة ، وبالتواضع الكريم  
— لا التماوت المصطنع .

ويجب أن تفقه هذه القلوب وتلك العقول ... أن الإسلام ليس  
بضاعة محتكرة ، يهيمن عليها صنف من الناس ، لأنه ملك المسلمين  
جميعا ، لافرق بين عالمهم وجاهلهم ، ولا بين شريقهم وغريبهم — أما  
كلمة رجال الدين ، فلا أصل لها في الإسلام . لأنها موروثه عن الكهنوتية  
التي يسخر منها الإسلام .

\*\*\*

إذا وجدنا القلوب التي تفقه ، والأفكار التي تغزو — كان من اليسير  
أن ينشر دين الله الخالص ، الذي رضيه الله لعباده ، ليأخذ بيد الأمة  
الإسلامية من الخضوض ، وينتشلها من الوحل ، ويعدها لتكون من  
جديد خير أمة أخرجت للناس . تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر  
وتؤمن بالله ..

والله أكبر ... والله الحمد

٤

والله أكبر ... والعزة للإسلام

للمؤلف :

### ١ - الإسلام والأمن الدولي :

الكتاب الثائر الذي سبق ثورة الجيش المصري ، في التنديد  
بالاقتطاع والملك الوراثي والحكم الديكتاتوري  
الكتاب الذي لم يقدر له أن يظهر في النور إلا بعد طرد  
الملك السابق من مصر

الثمن ١٥ قرشاً

### ٢ - الإسلام حائر بين أهله :

الكتاب الذي صدره العهد البائد ، وأفرج عنه القضاء العادل  
الكتاب الذي اتهم بالعطف على الشيوعية ، والتنديد بملوك  
وأمرء الدول المسلمة ، وحض الشعوب على الثورة .  
نفدت طبعاته كلها منذ أكثر من عامين ، وحالت ظروف  
الرقابة دون طبعه .

الثمن ١٠ قروش

قريباً جداً

### ٣ - الإسلام وجهاً لوجه :

الكتاب الذي وضع عقيدة الإسلام الصحيح :  
ديناً ودولة ومصحفاً وسيفاً  
نفدت طبعته الأولى في أيام :  
الطبعة الثانية قريباً بعد أن زال كابوس الرقابة .

الثمن ١٠ قروش

## مراجع الكتاب

التفاسير :

المنار - ابن كثير - الطبري - القرطبي

الحديث :

الكتب الستة - اللؤلؤ والمرجان - نيل الأوطار

السيرة :

إمتاع الأسماع - ابن هشام - زاد المعاد - إعلام الموقعين

الفقه :

المغني - الدر المختار - ابن عابدين - الهداية - البحر على الكنز

التصوف :

إحياء علوم الدين - الفتوحات المكية - قوت القلوب - حلية الأولياء

كتب أخرى :

للحياة الروحية في الاسلام : للدكتور محمد مصطفى حنبلي

المهدى والمهدوية : للدكتور أحمد أمين

اجتهاد الرسول :- لعبد الجليل عيسى

التصوف الاسلامي العربي : لعبد اللطيف الطيباوي

الاسلام والحضارة العربية : لمحمد كرد علي

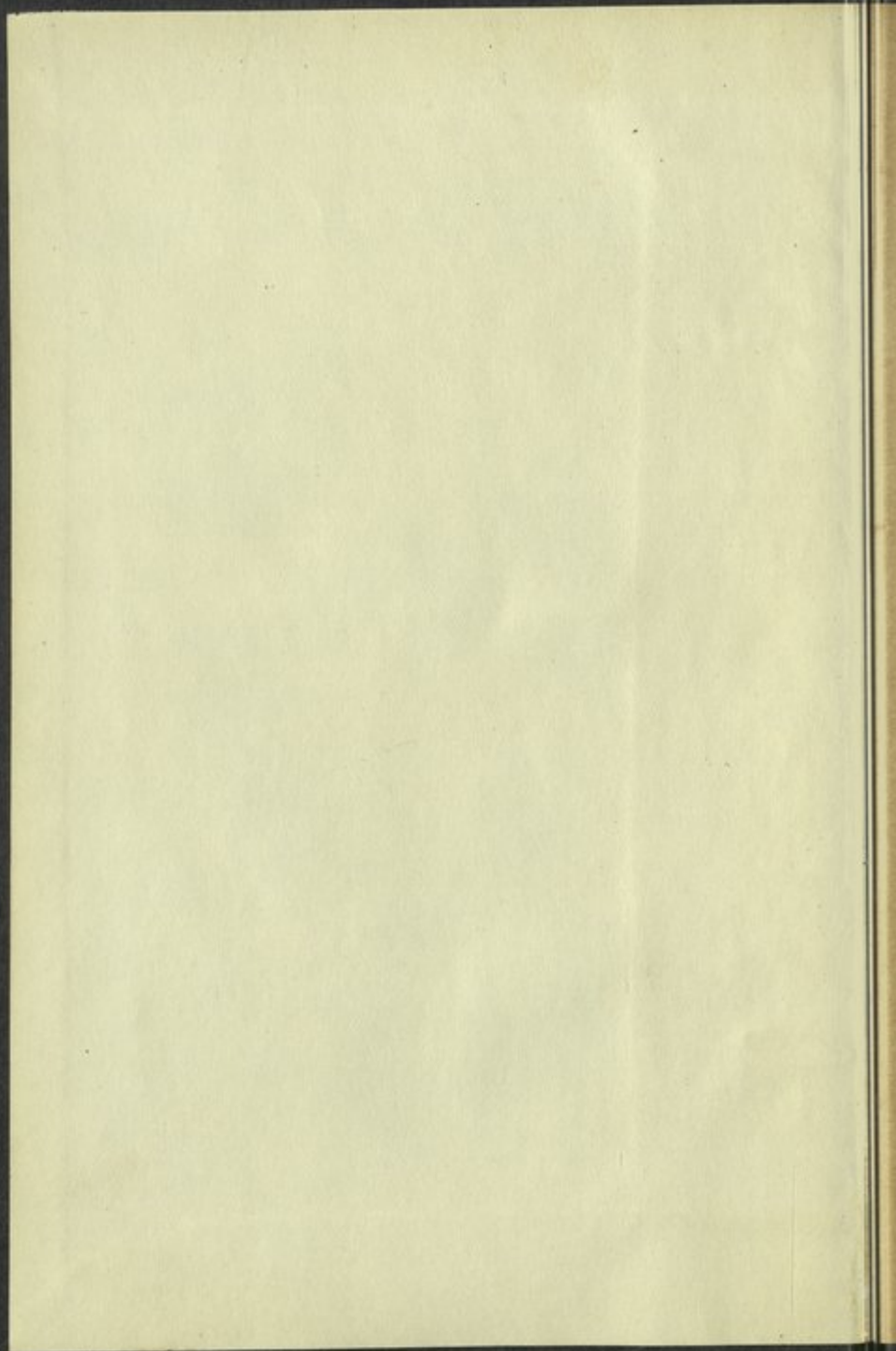
لماذا تأخر المسلمون ؟ : للامير شكيب إرسلان

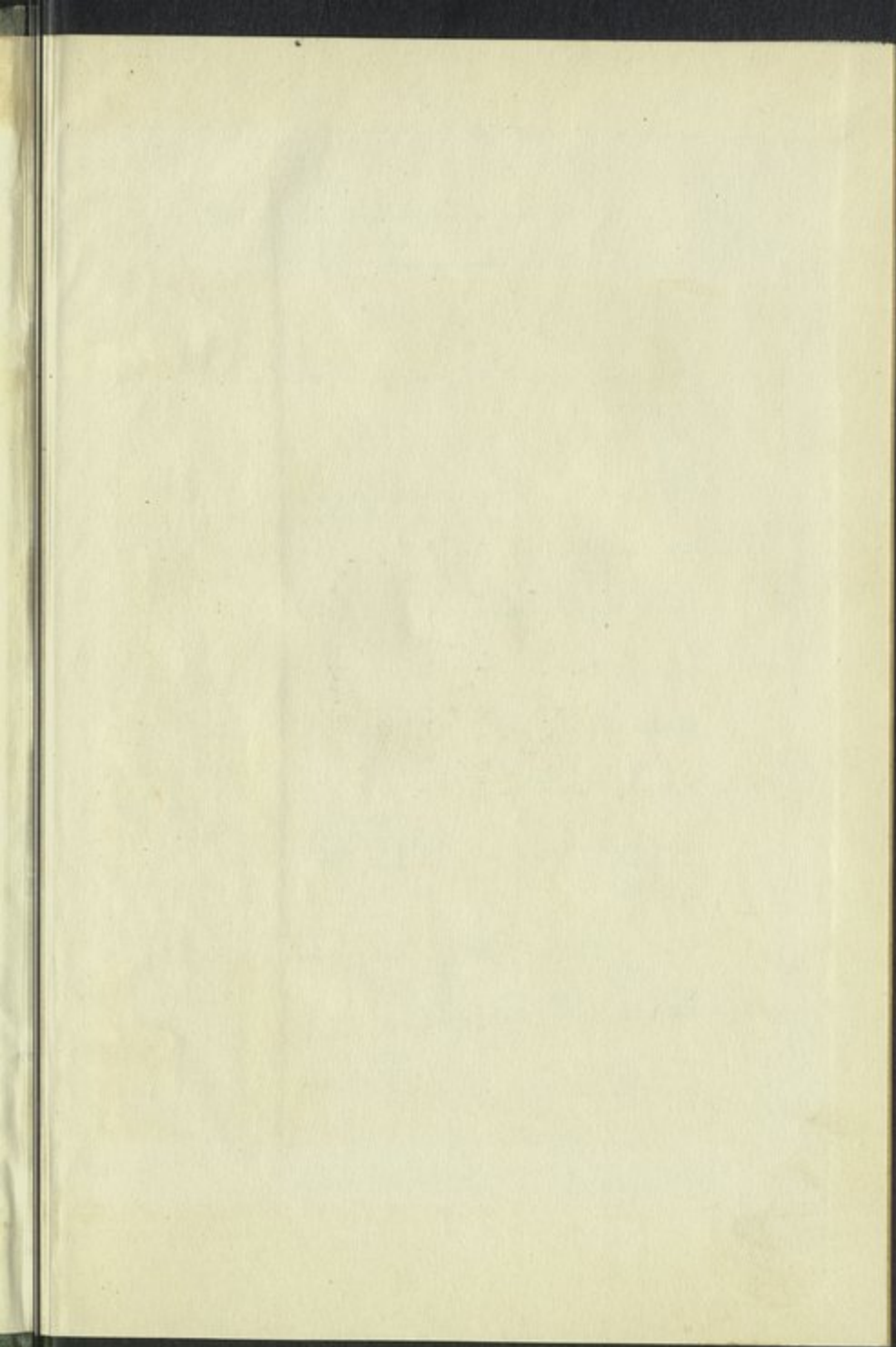
رسائل الإصلاح : للسيد الخضر حسين

## موضوعات الكتاب

---

- ٩ - تمهيد :
- هذا الانهيار - الاسلام الرخيص - المعلومات المشوهة .
- ١٣ - هذه المعوقات :
- الجمود الفكرى - التزمت المصطنع - الهوس الدينى - الاحتكار .
- ٣٧ - هذا الصداع :
- المعارك الهزينة - التصوف - الجماعات الدينية
- ٦٧ - أوهام :
- الشفاعة : المسيح الدجال - نزول المسيح - المهدي المنتظر
- ٧٩ - فى ميدان الاصلاح :
- الاصلاح الدينى : تفاسير القرآن - الحديث النبوى - الفقه .  
بيوت الله .
- الاصلاح الاجتماعى : الطلاق - تعدد الزوجات - تحديد النسل
- ١٢٧ - الشعوب . . لا الحكومات :

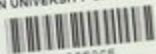




297.04:Sa18iA:c.1

السمان، محمد عبد الله  
الاسلام المصطفى

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005865

American University of Beirut



297.04  
Sa18iA

General Library

